حقوق الحيوان

الجزء الأول



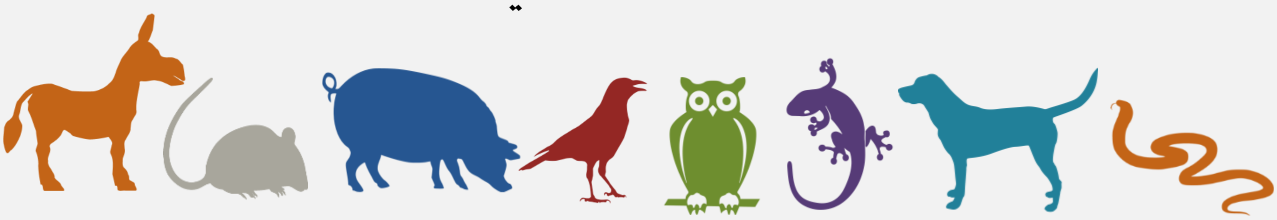
@abuahmedalqarni

إهداء

لجميع الكائنات الحيَّة

وإهداء خاص

للحيوانات المُضطهَدة في الثقافة العربية



مقدمة تمهيدية

@abuahmedalqarni
1 شوال 1438

يُعدُّ سؤال "حقوق الحيوان" من الأسئلة الطارئة على الخارطة الفلسفية الأخلاقية، ولا تزال الأجوبة على هذا السؤال قيد الإنجاز والازدهار. فرغم طرافة الموضوع، إلا أنه لم يُحدث جدلاً واسعًا في الأوساط، بل لاقى الاهتمام والتشجيع من الناس إذ هو يمس العواطف الرحيمة في الرتبة الأولى ويمس جانبًا وافرًا من العقل في الرتبة الثانية. يعود سبب التماهي أو التغاضي البشري مع حقوق الحيوان إلى أنها لم تتقاطع بعد بما يكفي مع مسائل أكثر جِديّة وتأزّميّة، كمسألة حقوق الإنسان. فكثيرًا ما يحتدم الجدل متى ما تُعقد المقارنات بين أولوية حقوق الحيوان إزاء حقوق الإنسان. وهذه المقارنات هي ما يُشعل الخِلاف فيتجلّى في أعتى صوره، وربما يستعر أكثر مع مطالبات حقوق الحيوان الأكثر جرأة وتقدميّة كمطالبات تحرير الحيوان كُليًا من قبضة الإنسان ومنع ذبحه وأكله، وهي مُناشداتٌ فتيّةٌ لا تزال تلقى رفضًا جارفًا من البشر رغم ما تحرزه من تقدمات في مناطق مزدهرة من العالم.

هذا الكتيّب أو سمِّه البروشور أو الرسالة أو المجلة أو إن شِئتَ "مجموعة المقالات" تُعد من أولى المحاولات الناظرة في مسألة "حقوق الحيوان" من عدة نواح. فرغم تكدس الكتب عن أحكام الحيوان والرفق بالحيوان في الإسلام، إلا أن متونها لم تطرح مسألة "حقوق الحيوان" وتقدّمه كسؤال جديد في الفكر العربي، أعني كسؤال إبستيمي مؤرق يتطلب إجابةً منهجيةً تُسهم في إحداث تحولات جادة في الفعل والسلوك. فغالب الطروحات الدعوية في السياق العربي تصب اهتمامها على تقدير الحيوان من جانب أيديولوجي بحت غير معنية بالأسس الفلسفية والتنظيرية الداعية إلى ذلك فيما عدا تقديمها للنصوص والإخباريات كاستدلال. كما أن مرتكز الطروحات الفكرية بالأساس منصبٌ على حقوق الإنسان، ذلك الكائن المغلوب على أمره، المنشغل بنفسه، الذي لا يزال ينازع السلطات العربية لنيل حقه ومستحقه، ولمّا يجد الوقت مُهيّئًا – بحسب هذه الضغوط والآلام – لأن يقرأ أو يناقش أو يستمع لحقوق كائن جديد (=الحيوان) يهدف إلى فرض مزيدًا من الغرامات والعقوبات عليه.

تصطبغ هذه المقالات بطابعين رئيسين: (1) تنظيري (theoretical) و(2) إخباري (anecdotal)، وهذان الطابعان تفرضهما طبيعة الموضوع والزاوايا المنظور منها

إليه، سواءً كانت تاريخية\ثقافية، أو وعظية\دينية، أو جدلية\فلسفية. ولأنها مقالات قصيرة كُتبت طيلة شهر رمضان المبارك لعام 1438هـ، فإن من المحتوم عليها أن تكون ثلاثين مقالاً قصيرًا، فلا يَجمُلُ بنا غير الاعتراف بالتقصير في سبر الموضوع وتحليله عُمقًا وأفقًا. فمسألة حقوق الحيوان في هذا الكتيّب مسألةٌ ناشئةٌ لم تُطرح بما يفي في هذه المناظير، كما لم يُوفَ حقها عبر مناظير أخرى هامة كالمنظور الاجتماعي، والقانوني، والعلمي، والتربوي، وهي مناظير أتعهد بالنظر عبرها للموضوع في المستقبل القريب بإذن اللّه.

يبرز البُعد النظري في بداية الكُتيّب ونهايته، وهو ما يصنع الفارق عن الكتابات الأولية في الموضوع، حيث سعيتُ بدايةً لمراجعة بعض القناعات البشرية الراسخة عن الحيوان وزحزتها بالتشكيك فيها تارةً، أو بإعادة قراءتها تارةً أخرى. بدءًا بمسألة أهمية الحديث عن الحقوق، وتلازمية الحقوق فيما بينها، مبيّنًا بأن حقوق الإنسان لا يمكن أن تتم ما لم تتم حقوق الحيوان بِدءًا. كما أشرتُ إلى أن الحيوان لا يختلف طبيعيًا ووظيفيًا عن الإنسان من ذوي الاحتياجات الخاصة، فإن كان لذوي الاحتياجات الخاصة حقوقًا رغم فقدانهم للعقل والنطق، كذلك يستحق الحيوان حقوقًا بالضرورة والإلزام. فالاختلاف بين الإنسان والحيوان من حيث النطق والعقل أختلافٌ لا يُحتفى به ولا يُعتد به كمقياس معياري، إذ أن للحيوان عقله وطريقة نطقه التواصلية مع غيره من جنسه، فلا يعجز الحيوان عن النطق والحديث مع جنس الإنسان إلا بمقدار عجز الإنسان نفسه عن النطق والحديث مع جنس الحيوان.

وفي ضوء الحديث عن أهمية الحيوان وأدواره الجليلة والجليّة في بناء حضارة الإنسان، أكدّتُ على شمولية هذه الحركة المستقبلية المتنامية، إذ أنها تشتمل بالضرورة على حقوق أخرى لازمة كحقوق البيئة مثلا. فلا تتم حقوق الحيوان، ما لم تُحفظ له حقوقه في المعيشة والمأوى وبالتالي تُحفظ الأشجار والمياه والهواء من التلوث والتخريب، وهي من مزايا هذه الحركة الواعدة. هذه المنطلقات التأسيسية تُعد إرهاصة أولية لفهم الجدل الفلسفي الدائر حول هذا الموضوع (في نهاية الكتيب)، وقد قمتُ بسرد تطوراته وتدرّجاته كرونولوجيًّا وموقف كل فيلسوف من الحيوان ونظرته إليه واستدلالاته على ما يتصل بحقوقه وواجبات الإنسان تجاهه، مبتدئًا بالقدماء ومارًا على المعاصرين ومنتهيًا بالنظرات المستقبيلة في هذا الميدان.

أما البُعد الإخباري، فقد طرحتُه بالضرورة لفهم العلاقة بين الإنسان والحيوان

من منطلق ثقافي ديني. فإعادة قراءة القصص والأخبار التاريخية عن الحيوان يتناسب مع الظرف الزماني لكتابة هذه المقالات (أعني رمضان)، وهي قصص ذات أبعاد ثقافية عميقة تشير إلى وجود علاقة حسنة وحيّة بين الإنسان والحيوان. هذه العلاقة باتت مفقودة ولم نعد نتلمسها في الواقع لأسباب، قد يكون على رأسها العقلية النصوصية المحسوبة على الأديان. فقد أفضت هذه العقلية، ومع الأسف، إلى إعادة هيكلة القناعات الطبيعية تجاه بعض الحيوانات بعينها، كالنظرة السلبية عن الكلب والخنزير مثلا. رغم ذلك، إلا أن طرْقَ الموضوع من منظور ديني برهن على أن الأديان من أغزر المصادر وعظًا وحضًّا على احترام الحيوان وتقديره والإحسان إليه، إذ تعهّدت للمحسن إليه بالأجر والثواب وتوعّدت المسيء إليه بالوزر والعذاب. ولأن وجدان العالم مشيدٌّ على أصول دينية\ثقافية، كان من واجب الإجمال والاستكمال طرح هذه الحقوق في سياقها الديني والثقافي وتبيان مقدار ما ساهمت به الديانات والثقافات في احترام الحيوانات، لدرجة أن بلغت مستوى عاليا من الوعظ والتحفيز تعجز النظرات الفلسفية أن تصل إليه، كنظرة ديكارت الصادمة والمهينة للحيوان.

أخيرًا، من العرف الاعتراف بأن هذه المقالات قد يعتورها بعض الزلل والخلل، لاسيما وهي تهدف إلى إنجاز الموضوع بمنطق ترغيبي لا نقدي، وقد تبرز النبرة الذاتية بسبب شخصية الكاتب المعنية بحقوق الحيوان في طيات الموضوع، ما يجعلها عُرضة لبعض العيوب غير المقصودة. فهي مقالات قصيرة كُتبت في الحض على حقوق الحيوان، وتم تقصيرها لدفع الملل والرتابة التي قد تنتاب القارئ. وبسبب إيرادها في شهر رمضان، يمكن القول بأنها لم تكن نقديةً تصحيحةً بما يكفي لمواقف الأديان والثقافات الخاطئة إزاء الحيوان. فعلى الرغم من أن الأديان والثقافات تندب جديًّا إلى حفظ حقوق الحيوان، إلا أن بعضها لم تعتنِ بحفظ حقوقه كاملة كما هو مطروح في السياق الفلسفي. ففكرة القرابين والأضحيات وفكرة تنجيس بعض الحيوانات (كالكلاب والخنازير) لا تزال مواقف مؤرقة محسوبة على الأديان، وتنتظر نظرة مستجدة لا تخل بالنظام الشامل للدين، بل تخرج منه ممهورة بطابع اجتهادي تصحيحي. كما ساهمت بعض النظرات الثقافية في الإساءة الشديدة لبعض الحيوانات، كالنظرة السلبية للحمير على أنها كائنات غبية، أو للبوم والغراب على أنها كائنات بشعة تبعث التشاؤم، أو للحيات والفئران والوزغات على أنها كائنات سامة تستحق القتل رجما وضربا. هذه المواقف غير المُرضية تقع في المجال الثقافي وتتقاطع مع المجال الديني وتستحق أن تُفرد وتُناقش نقديا بشيءٍ من التأصيل والتفصيل، وهو ما نؤمّل إنجازه في المستقبل القريب بإذن اللّه.

نظرة تأسيسية

تعريف الحقوق وعناصر الكون

@abuahmedalqarni

1 رمضان 1438

الحقوق هي الاشتراطات والعقود (الأخلاقية، الاجتماعية، القانونية) التي يتمتع بها الفرد\الكائن وتحكم تصرفاته وتعاملاته مع الآخرين كما تحمي ممتلكاته ومستحقاته منهم. وهي بصفتها ضرورات وحاجات ماسة للفرد\الكائن، لجلب منفعة أو دفع ضرر. وبما أن الحقوق (تجلب المنفعة وتدفع الضرر) فهي لا تخضع لاشتراطات الترتيب (كمن يقول بأن حقوق الإنسان أولى من حقوق الحيوان، وحقوق الحيوان أولى من حقوق النبات إلخ) بل ينبغي أن تكون مقدمة ومضمونة للجميع على السواء متى ما تيسر ذلك. فإذا ما تساوى أفراد في حقهما للعلاج (وذلك لدفع ضرر وجلب منفعة) فليس من المبادئ الأخلاقية أن يتم تقديم فرد على آخر (خصوصا إن ثبت تساويهما في مسيس حاجتهما لدفع الضرر)، وإلا لكان هذا التقديم والتفضيل تمييزًا مرفوضًا.

يتضمن الكون أربعة عناصر رئيسة من الكائنات والأشياء، وقد تم وضعها في هيراريكية تراتيبية باعتبار بعض المعطيات: (1) الإنسان أولا، (2) الحيوان ثانيا، (3) النبات ثالثا، (4) الجماد رابعا. فتميّزُ الإنسانِ عن البقية بعقلِه ونطقِه جعله في مرتبة عليا على الجميع إذ هو الفرد الوحيد الذي ثبتت قدرته على البناء الحضاري عن البقية. يأتي الحيوان ثانيا بحكم حيويته وحركته ومشاعره ما يجعله لا يختلف عن الإنسان إلا في مُعطيين: (1) العقل والتفكير و(2) والتواصل والتعبير. ثم يأتي النبات ثالثًا بحكم نموّه كالإنسان والحيوان وتفاعله مع الشمس وحركتها، ما يميزه بحياةٍ محسوسةٍ تميزه عن الجماد الذي يأتي أخيرًا ويفتقد جميع امتيازات العقل والنطق والمشاعر والنمو.

ورَغْم هذه الاختلافات بين هذه العناصر إلا أنَّ لها جميعًا حقوق وواجبات، فبقاؤها متسببٌ في بقاء الآخر. فلولا الحيوان لعجز الإنسان عن بناء حضارته، ولولا النبات لما تقوّى الحيوان بطعامه، ولولا الجماد (من ماء وهواء وصخور ومآوي) لما تمت الحياة للإنسان والحيوان والنبات ولما شعروا معها بأمنٍ وأمان. تأسيسا على ذلك، فإن الكتابة عن حقوق كل عنصر من هذه العناصر يستحق العناء وليس من سبيل الإسراف والترفيه، لاسيما وأنَّ الهدفَ الأخير من ذلك كله هو الحفاظ على حقوق الإنسان، المتصرف الأول في هذه الحياة، والقادر الوحيد على تنظيم هذه الحقوق وحمايتها من الانتهاك.



حقوق الحيوان وحقوق الإنسان

@abuahmedalqarni
2 رمضان 1438

ثمة احتجاجٌ رائجٌ يرى بأن "حقوق الإنسان أولى من حقوق الحيوان" وبذلك لا ينبغي صرف الأوقات في الحديث عن حقوق الحيوان طالما لم ينل الإنسان حقوقه بعد. ومثل هذا الاحتجاج مثبِّطٌ لأي حركة تنادي بـ "حقوق غير الإنسان"، ويجعل المرتكز الوحيد للحقوق إنساني، لا كوني، ويكفي بـ "عدم كونية الحقوق" مثلبةً في هذا النظام القانوني. تأتي هذه الاحتجاجات من منطلقات أنانية، بحيث يرى الإنسان أحقيته بالبقاء، وهي منطلقات طبيعية على أنها غير مؤسسَة نظريًا.

فبالنظر إلى مصدر هذه الاحتجاجات يمكن القول بأنها نبعت من فكرة تميز الإنسان العقلي والنطقي عن الحيوان، وتفوقه عليه في كافة الميادين من حيث قدرته على استعباده وتسخيره لحاجاته. على أن هذه الحجج سليمة في الظاهر، إلا أنها لا تنجو من الضعف إذا ما شملت تطبيقاتها وعللها حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة. فمن الناس من فقد عقله كليا (كالمجنون)، ومنهم من فقد لسانه (كالأبكم)، ومنهم من صار حاله أشبه بالحيوان في عجزه عن التفكير والتعبير، بل (ومن منطلق حجاجي) يصبح في حالات خاصة أسوء من الحيوان من حيث القيمة الوجودية كمن تعرض لغيبوبة وشلل كامل؛ فهل يسوغ أن نقول بأنَّ ذا الاحتياجات الخاصة لا يشعر ولا ينطق ولا يفكر فهو أشبه بالحيوان وبالتالي لا يستحق حقوقًا وواجبات، بل يُمكن ضربه وجلده، وذبحه وطبخه، ويمكن ملاحقته ورجمه كما يُفعل اليوم بالحيوانات الضالة؟ إن ساغ ذلك في الإنسان من ذوي الاحتياجات الخاصة ساغ مباشرة في الحيوان، وإن لم يسغ لا يسوغ في الحيوان بالضرورة والمقتضى.

إن أدنى الواجبات الأخلاقية أن يُعامل الحيوان على أنه كائنٌ من ذوي الاحتياجات الخاصة بذلك يتطلب عنايةً واهتمامًا واحترامًا، لا أن يجد الإنسان على النقيض في عجزه عن النطق والتفكير مسوغًا لأن ينتهك حقوقه ويضاعف معاناته بلا حق. كما ينبغي أن تقوم لذوي الاحتياجات الخاصة جماعة من الناطقين الحقوقيين العقلاء بالإنابة عنهم بالمطالبة بحفظ حقوقهم كاملة. وهذا الدفاع عن الحيوان، في بُعده النهائي، ليس دفاعًا اعتباطيًّا عن حقوق كائن لا يفكر ولا يتكلم، بل دفاعًا عن كائنٍ لا يمكن الاستغناء عن وجوده التكميلي لهذه الحياة، ما يجعل المطالبة بحقوقه وحفظها مطالبةً مشروعةً ومندوبًا إليها.

أفضلية الحيوان على الإنسان

@abuahmedalqarni

3 رمضان 1438

من الأخطاء الشائعة وصف الحيوان بـ "غير العاقل" لاسيما ولم نرَ حيوانًا مجنونًا سلفًا، إذ هو احتجاج الإنسان على تميزه عليه، متناسيًّا بأن الحيوان ساهم في تعليمه التفكير والإبداع بِدءًا، وأخذ بيده في بناء حضارته وشكل له طريقته في العيش والحياة ما يجعل له شراكةً أساسيةً لا يمكن إغضاء الطرف عنها في هذا البناء الضخم الذي توصل إليه العالم البشري من حضارات.

لقد كان الحيوانُ ولا زال مصدرَ إلهامٍ للإنسان في بناء حضارته الأولى: الفرائس والمفترسات (=الصيد والجمع)، جناح الطائر المحلق (=الطائرة)، شبكة العنكبوت الصيّاد (=الشبكات الأقوى من الحديد)، عش الطائر المحكم (=المساكن القشيّة)، البناء الهندسي البديع لخلايا النحل (=الغرف والحجر)، لزوجة أصابع الوزغ (=أدوات التسلق)، جلود التماسيح (=مضادات الشيخوخة) لمعان أجنحة الفراشات (=شاشات التلوين)، تلك ميكانيزمات طبيعية ساهمت في تنشيط الفكر الإبداعي للإنسان وأحيت فيه نزعات التقليد والاقتباس. إن هذا التقليد البيولوجي (Biomimetics) بحسب المهندس الأحيائي الأمريكي أوتو شميت (1913-1998) لا يزال فرعًا علميًا نشطًا يقدم براهين دالة على أهمية الانتفاع بعقل الحيوان والأنظمة الطبيعية في حل مشكلات الإنسان، فقد استطاع الحيوان بعقله ودهائه أن يعيش ويتكيف ويتطور في ظروف صعبة وقاهرة كما استطاع أن يتخذ التدابير المناسبة للحد من تلك الأخطار، ولمّا يتعلم الإنسان طريقته في التكيف بعد.

إن المنصف لا ينكر أن الثعلب علم الإنسان الحِيَل، وعلمه الكلب الوفاء، وعلمه الأسد الشجاعة، وعلمه الجمل الصبر، وعلمه النمل والنحل الدَأبَ على العمل والانتاج، ما خلّف للإنسان نظامًا حياتيًّا وحركيًّا متكاملاً. ولم يكتف الحيوان في التعليم، بل شارك في حمل الأثقال ودفء الأبدان وشفاء الأسقام طوال هذه المسيرة الحضارية الكبرى. تأسيسا على ذلك، لا يمكن بحال أن يُحسب "العقل" من خصائص الإنسان دون الحيوان إذ للحيوان عقله وتفكيره وتدبيره، كما لا ينبغي أن يُحسب "النطق" الميزة الخاصة بالإنسان دون الحيوان، إذ ثبت تواصل الحيوان مع أبنائه وغيره من الكائنات. ولا يعجز الحيوان عن النطق والتواصل مع الإنسان إلا بمقدار عجز الإنسان نفسه عن النطق بالطريقة المناسبة للحيوان.

حتمية حقوق الحيوان

@abuahmedalqarni
4 رمضان 1438

يمكن القول – دونما مبالغة – بأن "حقوق الحيوان" من صميم "حقوق الإنسان" وتنضوي تحتها عرفًا وعقلاً. فمن حق البشر جميعًا أن تُحفظ لهم "حقوق الحيوان"، بل هي أولى غاياتهم وحاجاتهم من منطلقاتٍ وجودية. ذلك لأن الحيوان هو الشبيه الأقرب للإنسان، من النواحي الفسيولوجية والنفسية، وما الدراسات الحديثة التي يتم فيها استخدام الحيوان في المخابر الطبية والنفسية إلا دلالة على أنه الكائن الوحيد والقادر على الاضطلاع بهذه المهمة في خدمة الإنسان، بالمقارنة مع العناصر الأخرى: النبات والجماد.

لقد قدم الحيوان ولا زال خدمات جليلة في سبيل شفاء الإنسان من الأمراض والأسقام كما ساهم في الحد من انتشار الأوبئة وتغولها، الأمر الذي قد يكلفه حياته أحيانا، ولم نجد إلى اليوم من يقدر له هذه المساعي والتضحيات. فقد قضى على الكائنات المحدقة بحياة الإنسان وسيطر على تفشيها متمثلاً في تقليص الحشرات الناقلة للطاعون (=من خلال القطط)، وأفرز من جسده عقارات وأمصال نافعة كأمصال الجدري (=من خلال البقر)، وقدم أدوية لا تزال حاجتها قائمة كالأنسولين لمرضى السكر (=من خلال الخنازير)، بل أفرز من سمه الضار ابتكارًا متجددًا لمسكّنات الألم (=من أسماك البليني). ولا ننسى الجنود المجهولة من القردة ودورها في علاج الأمراض النفسية، و"الجرذان" التي لا تزال تُستخدم بنسبة 95٪ في سبيل إيجاد علاج أمراض السرطان والإيدز وأمراض الأجهزة التنفسية والعصبية عموما.

لقد ثبت علميًا أن وجود الحيوان حيًا بكافة فصائله (من قوارض وطيور وحشرات الخ) بمركباته الفسيولوجية ووظائفه الطبيعية يُعد سببًا رئيسًا في وجود الإنسان، وفي انقراضه انقراضٌ له. فلا يمكن بحال أن ينتهك إنسانٌ حقوق الحيوان بقتله وتدميره بلا مسؤولية، دونما نلحظ لهذا الانتهاك تبعاته الخطيرة على البشر، إذ يساهم هذا الانتهاك في اختلال البيئة والاضرار بتوازناتها ما يصادر حق الحياة للإنسان، وحق الحياة هو رمّانة نظام "حقوق الإنسان". بذلك نخلص إلى أن من المحال أن تُحفظ حقوق الإنسان (وعلى رأسها حق الحياة) ما لم تحفظ حقوق الحيوان قِبلا، إذ هو المعين الأول لبقائه وحياته، وما لا يتم الحق إلا به فهو حق، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.



واقعية حقوق الحيوان

@abuahmedalqarni

5 رمضان 1438

الغاية من الدفاع عن "حقوق الحيوان" ليست غايةً مثاليةً عُليا، يُبتغى منها الوصول لبناء كون سلمي لا يعتدي فيه عنصر على آخر. فتحقيق العدالة الكونية يتطلب انخراط الأطراف المعنية في توقيع العقود والمعاهدات والالتزام بها دون إخلال، ولا يتأتّى ذلك في ظل وجود أطراف غير عاقلة ولا ناطقة كالحيوان قد لا تلتزم وتعترف بالعقود والاتفاقيات. فوجود إنسان في غابة أمام أسد جائع لا يعني قدرة الحقوقيين على منع الأسد من الهجوم وتذكيره بالعهود فذلك صراعٌ طبيعيٌّ من أجل البقاء ينتصر فيه الأقوى، إنسانًا كان أم حيوانًا.

إن إشكاليات حقوق الحيوان نابعة من الهجوم العشوائي الذي يشنه الإنسان على الحيوان، بما يصل أحيانا لتهديد نوعه والقضاء عليه قضاءً مبرمًا، دون جوع الإنسان وحاجته للدفاع عن نفسه للبقاء، بل لدوافع رأسمالية غاشمة تُستبذل لأجلها فراءات الحيوانات وأوبارها. على النقيض، يلحظ المنصف بأن الحيوان يمارس سلوكًا عقلانيًّا تجاه فرائسه، فلا يهجم على فريسته دونما مشاعر حادة لسد جوعه للبقاء، فإن افترسه أكله، وإن شبع تنحّى عن بقية القطيع والكائنات وسمح لها بالتكاثر لينال منها قوته ليوم غده. هذا السلوك الطبيعي من الحيوان يجعله في مرتبةٍ عُليا في تنظيم الحياة الكونية فلا يُحسب عليه تجاوزٌ ظالمٌ يهدد الكائنات، والجدير بالذكر بأنه لا يوجد حيوان انقرض بسبب همجية حيوانات أخرى، إنما بسبب ظروف طبيعية قاهرة أو بسبب بربرية إنسانية قضت عليه.

هذا الصراع الطبيعي لأجل البقاء لا يمكن التحكم به وتقييده نظامًا، حتى بين الأناسيِّ أنفسهم، فقد يقتل الإنسان الآخر إذا ما وصل لحالة شديدة من الجوع. المطالبة بحقوق الحيوان هي مطالبة عقلانية لإيقاف هذا العبث العشوائي من صيدٍ جائر يُسهم في إنقراض حيوانات سلمية كحيوان وحيد القرن لغايات طبية شعبية، أو انقراض الدب القطبي بالمساهمة في إفساد بيئته بتذويب الجليد وتصعيد مشكلة الاحتباس الحراري. حركات حقوق الحيوان باختصار ليست حركات مثالية تنشد المستحيل، إنما حركات عقلانية تسعى لخلق التوازن وحفظ الحقوق جميعا، والأهم من ذلك كله كفالة حق الصراع الطبيعي من أجل البقاء.

ربحية حقوق الحيوان

@abuahmedalqarni

6 رمضان 1438

المكاسب العائدة من حفظ "حقوق الحيوان" مكاسبٌ وافرة، فضمانةُ حقوقه ضمانةٌ لتسخيره وظيفيًا وتفعيل دوره سلميًّا في بناء الحضارة وحمايتها، وذلك بإشراكه وتدريبه على العمل والصناعة وتسهيل دوره في التسلية والوناسة بوسائل سِلمية دون تجاوزات أخلاقية تنتهك حقوقه على النقيض.

على الجانب التدريبي، لاحظ الإنسان ذكاء الحيوان وسرعته في التعلم، وسعى لضمِّه إلى فصيلته بتعليمه لغاته، وقد حقق الحيوان على إثر ذلك نتائج مبهرة كنتائج الشمبانزية واشو (1965–2007) التي أجادت 350 إشارة من لغة الإشارة الأمريكية، والغوريلا كوكو (1971–) التي أجادت أعداد ضخمة من ذات اللغة، وفهمت أكثر من ألفي كلمة أنجليزية منطوقة، ما جعل بعض العلماء يفكر جديًّا في إدراج الغوريلا والشمبانزي في نظام حقوق الإنسان (فيم، 2002؛ أنيتا، 2003)[1]. إنَّ مساعي الإنسان التواصلية مع الحيوان والعمل على تدريبه وتأهيله لبّى له حاجاته التكميلية، كمشاركة قردة الكابوتشن بجسها الكوميدي في إنجاح الأفلام الدرامية، ومشاركتها في الإسعافات الأولية، ومشاركة الكلاب في إحباط المخدرات وجرائم التهريب، وقدرتها أيضا على قيادة الكفيف في الطرقات، ما يجعل الحيوان في هذه الحالات الخاصة بقيمةٍ أخلاقيةٍ نفعيةٍ موازيةٍ للإنسان. كما تم الانتفاع ببعض الحيوانات في المسلك العسكري، في محاولة أولى لتأهيله للوقوف بجانب الإنسان في حماية الحضارة من الدمار.

أما على الجانب النفسي، فقد أثبتت الدراسات أنه كلما قويت العلاقة بين الإنسان والحيوان أعطت نتائج مثمرة في التخلص من أمراض الوحدة والإحباط والاكتئاب وأمراض التوتر وضغط الدم، ولوحظ بأن أصحاب الكلاب المنزلية ينالون مكاسب عاطفية من كلابهم أكثر من أصدقائهم، بل أن علاقتهم مع كلابهم لا تعزلهم عن مجتمعهم كليا بل تدفعهم لأن يكونوا أكثر قربًا للأشخاص المهمين في حياتهم[2]. بهذا يمكن القول بأن القرب من الحيوان وتدريبه من منطلق لا ربحي ليس أمرًا ترفيًّا إسرافيًّا لا يجني منه الإنسان غير الجهد والخسار، إنما عملٌ له عوائده الصحية والنفسية والحضارية على المدى البعيد، ما يجعل الحاجة ماسة لانشاء نظامٍ حقوقي يرتِّب وظائفه ويُسهِّل مُهماته.

مراجع: (1) goo.gl/pUypKi | goo.gl/Q2jvOr (2) goo.gl/0bnwJv

شمولية حقوق الحيوان

@abuahmedalqarni

7 رمضان 1438

ليس من المبالغة القول بأن الدفاع عن "حقوق الحيوان" بالتحديد يعني الدفاع عن عدة حقوق متباينة دفعةً واحدة. فـ "حقوق الحيوان" تقتضي الدفاع عن "حقوق الإنسان"، وتشكل منطلقًا لحفظ حقوق متتالية كـ "حقوق البيئة" من شجر ونبات، و"حقوق الجماد" من ماء وهواء. على النقيض، فإنَّ التركيز على الدفاع عن أي من الحقوق السابقة (الإنسان، النبات، الجماد) لا يكون دفاعًا كونيًّا عن الجميع، إنما دفاعٌ أنانيٌّ يحقق مطالب الذات ويسيء لمطالب الغير.

إنَّ حفظ "حقوق الحيوان" من الانتهاك يقتضي وصول البشر لأعلى مستويات الحضارة الأخلاقية. فأنْ يتوقف الإنسان عن إيذاء الحيوان (الذي لا يعقل ولا ينطق) ينتهي من باب أولى إلى أن يتوقف كليًّا عن إيذاء من هو أعلى من الحيوان في الوجدان البشري: أعني بذلك الإنسان من ذوي الاحتياجات الخاصة والإنسان بقواه العقلية والجسدية الكاملة. إذ قلَّ ان يوجد من يحفظ حقوق الحيوان بالرعاية وعدم التعذيب وفي المقابل ينتهك حقوق الإنسان بتعذيبه وعدم رعايته. أما العكس فمشهود، فكم من الناس من يحض على رعاية حقوق الإنسان ولا يُولي حقوق الحيوان والنبات والجماد اعتبارًا. ويمكن لسائلٍ أن يُحقّق في هذا الفشل المتواصل الذي لا تزال تُمنى بها حركات حقوق الإنسان، ليعزوها بشكل مباشر إلى انتهاك الإنسان نفسه حقوق غيره بلا وجه حق؛ وقد سبق وأوصى النبي ﷺ "أدّوا إليهم حقوقهم وسلوا اللّه حقوقكم".

كما أن حفظ حقوق الحيوان يعني بالضرورة حفظ "حقوق البيئة" من نباتٍ وجماد، إذ أن من حق الحيوان على الناس حفظ حقوقه المعيشية من مأكلٍ ومشربٍ ومأوى، بحماية الأشجار التي هي مأكل بعض الحيوانات ومسكن البعض الآخر من القطع العشوائي، وحماية الماء والهواء من التلوث البيئي، بل وحماية الكهوف الصخرية الجبلية من الهدم والتخريب كمآوي حيوانية ما ينتهي أخيرًا إلى العناية بالتماثيل الإنسانية التاريخية وحفظها من يد العبث التي نالتها بحجة أنها جمادات لا تتحرك ولا تتنفس. على ذلك، نخلص في القول إلى أن حركة "حقوق الحيوان" هي حركة العصر الأولى، وذلك لما تتمتع به من متواليات وتداعيات إيجابية على بقية عناصر الكون، فهي حركة شمولية تمتد في كل الوجهات، إنسانيةً ونباتيةً وجمادية، ولا يكون ذلك إلا لـ "حقوق الحيوان".

نظرة ثقافية

شريعة حمورابي البابلية

@abuahmedalqarni

8 رمضان 1438

تُعدُّ شريعةُ حمورابي (1728–1686 ق.م) من أقدم الشرائع والقوانين التي تناولت مسألة حقوق الحيوان مع أنّها لم تراعِ في ذلك حق الحيوان بصفته كائنًا مستقلاً بقدر ما تناولت حق صاحبه فيه إن تعرض حيوانه المملوك لأذى وضرر.

تُقرر شريعة حمورابي فيما يخص الحيوان بأنه إذا استأجر رجلٌ ثيران صاحبه، ثم قام بقتلها لسوء المعاملة أو الإجهاد، فإنه يتوجب عليه تعويض المالك ثيران بديلة. أما إذا قام باستئجار ثور فكسر ساقه أو قطع عظمة عنقه، فإنه يعوض مالكه ثورًا بثور. وإذا قام بفقأ عينه، فإن عليه أن يدفع للمالك نصف قيمته، وإن كسر قرنه أو قطع ذيله أو هشم أنفه فيدفع ربع قيمته من المال. هذه القوانين رغم أنها كانت مؤسسة لتنظيم علاقات الإنسان بالإنسان إلا أنها طالت ممتلكاته من حيوانات، ففرضت على المستأجرين غرامات وعقوبات مغلظة لا ينجو منها إلا مُحسن. كما اعتنت شريعة حمورابي بمعالجة الحيوان، ما يُشير إلى أن الحيوان كان يتلقّى كما الإنسان عنايةً فائقةً من الأطباء والمختصين، فمن قوانينها المقررة أنه إذا قام جراح بيطري بإجراء عملية على ثور أو حمار وعالجه، فإن على المالك أن يدفع سدس شيكل كرسوم، وإن تسبب الجراح في موته فعليه أن يدفع للمالك ربع قيمة الحيوان. وما هذه التنظيمات الرقابية والعقابية إلا مساهمة مبكرة ومشكورة في تنظيم "حقوق الحيوان" والسعي لعلاجه بالطرق السلمية الحذرة وتوخي قتله قدر الإمكان.

هذه القوانين التشريعية في العناية بالحيوان ككائن بقيمة وجودية كان منبعها ملاحظة أهمية الحيوان في ضمانة رزق مالكه الإنسان، ما يجعل العبث به من قبل المستأجرين عبثًا مباشرًا بحقوق البشر. لذلك، يؤخذ على هذه التشريعات الحمورابية تقديمها للحيوان بصفته عبدًا مملوكًا لسيده، إذ لم تتناول مشاعر الحيوان ومعاناته ككائنٍ مستقلٍ ولم تطالب بالتخفيف عليه لأنه حيوان، إنما كانت تدعو إلى ذلك دعوتها إلى حفظ حق من حقوق الإنسان. ولا تزال لهذه النظرة الغابرة تبعاتها على الواقع اليوم، إذ تتوقف المركبات وتتحاشى دهس الشياه والبقر (لأنه يترتب على دهسها حقوق مالية لمالكها)، فيما لا تتحاشى دهس الكائنات غير المملوكة كالقطط والكلاب ولا تتوقف لمساعدتها، وكأنما عدم امتلاك الإنسان للحيوان يسوّغ قتله وتعذيبه، وهي المأساة!



ملحمة جلجامش السومرية

@abuahmedalqarni
9 رمضان 1438

من أقدم الملاحم تناولا لقضية "حقوق الحيوان" ملحمة جلجامش، وهي ملحمةٌ سومريةٌ مكتوبةٌ بخطٍ مسماري على 12 لوحًا طينيًا أُكتشفت عام 1853م وتعد أقدم قصة كتبها الإنسان في التاريخ، كما تُعدُّ – بحسب الخبراء – المكتبة الشخصية لحاكم نينوى العراقية الملك الآشوري آشوربانيبال (685–627 ق.م).

تورد هذه القصة جانبًا حركيًّا عن تصادم حقوق الإنسان بحقوق الحيوان في وقتٍ مبكرٍ من الحياة الفكرية للبشر. فهي قدرةُ قاصٍ يُدعى (شين ئيقي ئونيني) على توظيف خياله الخصب لرسم المشاهد والحبكات المناسبة لقضيةٍ عايشها وتعايش معها. تلك قصة ملك أورك، جلجامش، الذي كان ثلثاه إلهيًّا وثلثه الباقي بشري، وكان مستبدًا لشعبه، حيث سخرهم لأعمال شاقة في بناء سور عظيم حول أورك. ابتهل الناس للآلهة فاستجابت لهم فخلقت رجلاً من الطين يُدعى أنكيدو يعيش في البرية ويأكل الأعشاب ويعايش الحيوانات وتتعايش معه. كان أنكيدو يتحالف ويتعاطف مع الحيوانات ضد الإنسان، ويدافع عنها ويُدرك مكايد الصيادين فيفسد أفخاخهم بتحطيمها ووضع أغصان الشجر فيها، وهي إشارةٌ مبكرةٌ لأول شخصية في التاريخ تهتم بـ "حقوق الحيوان" وتُعنى بوقف معاناتها بشكلٍ واضح وصريح. اشتكى الصيادون لجلجامش، فحزم أمره على إغراء أنكيدو بالمومسات لترك الحيوان والدخول في عالم الإنسان، ليصبح أنكيدو بعدها صديقًا وحشيًّا لجلجامش ثم يبدأ في مشاركته قطع الأشجار وتدميرها في إشارةٍ عكسيةٍ لانتهاك حقوق البيئة ومآكل الحيوان ومآويها. يتحالف جلجامش وأنكيدو على قتل حارس الغابة خومبابا، الأمر الذي أغضب الآلهة التي أناطت به مسؤولية الحراسة، لتُرسل ثورًا مقدسًا منتقمًا (وهي إشارةٌ ثالثةٌ لقيمة الحيوان) من السماء للدفاع عن الغابة، ليشتركا في قتله فينتهي هذا التعدي لقتل الآلهة لأنكيدو.

يمضي جلجامش حزينًا بعد فقد صاحبه فيتخلى عن رفاهيات ملكه ويلبس جلود الحيوانات بحثا عن الخلود. قصة تحفها الأساطير والخرافات تعبر عن وجدان جماعة عاشت في فترةٍ مبكرةٍ وصراعهم للخروج من النظام الحيواني للنظام البشري\المدني، ومصاعب التوفيق بين النظامين. جلجامش ملحمة أثرية غابرة وراسخة في القدم تستحق دراسات متوسعة عن موقفها من حقوق الحيوان.



ملحمة لقمان الحميرية

@abuahmedalqarni

10 رمضان 1438

لم يكن نشدان الخلود حصرًا على ملحمة جلجامش السومرية، بل كان للحميريين بحثهم عن الخلود، متمثلاً في ملحمة الملك لقمان بن عاد التي أوردها التابعي المؤرخ وهب بن منبّه الصنعاني (655–738) في كتابه "التيجان في ملوك حمير". حيث قدّم لقمان بن عاد مع نُسُوره السبعة في مشهدٍ خصبٍ يفيض بالأسطرة ويُبرز الصراع الإنساني ومساعيه لمقاربة الحيوان في العمر المديد.

كان اللّه قد خص لقمان بن عاد بحاسة مائة رجل، وطولا لا يقاربه أهل زمانه، وكان يدعوه لقمان كل صلاة: اللهم يا رب البحار الخضر، والأرض ذات النبت بعد القطر، أسألك عمرًا فوق كل عمر. فنودي: قد أجبنا دعاءك وأعطيناك سؤالك ولكن لا سبيل للخلود. فاختر إن شئت بقاء سبع بقراتٍ عفر في جبلٍ وعر لا يمسهن ذعر، وإن شئت بقاء سبع نوايات من تمر، مستودعات في صخر، لا يمسهن ندى ولا قطر، وإن شئت بقاء سبعة نسور كلما هلك نسر عقب بعده نسر. فاختار لقمان حياة النسور لما يتمتع به النسر من طول العمر في الوجدان العربي، فعاش 4000 سنة إذ كان يمنحه كل نسر عمرَ 500 سنة، حتى بلغ النسر السابع (لُبَد) وكان أقواها وأصلبها إذ عاش أَلْفَ سنةٍ مما يعدون. كان لقمان يأخذ فرخ النسر صغيرًا من وكره ويعود به إلى بيته فيطعمه ويربّيه ويعتني به في أولى إشارات العناية بالحيوان، فيطير الفرخ مع النسور ويعود إليه حتى يهلك مع السنين. فلما أشرف لقمان على الموت، أراد أن ينهض فتمزقت عروق ظهره ولم يكن قبل ذلك يشكي ألما، ثم نظر إلى النسور وقد تطايرت وعجز نسره لُبد عن الطيران، فحمله بين يديه يهزّه ويوقظه، ثم رمى به إلى السماء ليطير فسقط وتطاير ريشه ولم يُطق نهوضا، فقال لقمان مشتكيا: يا لُبَد، صحبتني فصحبتك وكذبتني فكذبتك! ثم علم أنه يحتضر فأنشد يقول:

انهض لُبَد نهضًا شدد إذا لم يكن أبد الأبد
فأراكَ حين تطايرت تلك النسور فلم تعد
بشرت لقمان به فلعله لم يعتمد

هذه الأسطورة العربية الخالصة من أوفر أساطير الشعوب في مسألة حب الإنسان للحيوان، إذ وقع اختياره عليه، ورهن حياته بحياته، ما جعله يرعى صحته ويؤمّل عافيته، ويعتني به أيما عناية، ويشفق عليه إشفاقه على نفسه.

ملحمة البسوس الجاهلية

@abuahmedalqarni

11 رمضان 1438

عاش الجاهلي محاطًا بالحيوانات مراقبًا لها، يتكيّف مع نظامها ويرى أبناءه "جراءً" و"فراخًا" مثلها، يَتسمّى ويُسمّي أبناءه بها، كـ نمر وأسد وصقر وكليب وليث، بل يسمي الحيوانات (من جِمال وخيول) والجمادات (من أدرع وسيوف) بأسماء أناسيّ مُبجلّة ومُهيبة. وظاهرة "التسمية" هي في ذاتها ارتباطٌ لغويٌّ يُخبر عن ارتباطٍ عضوي واجتماعي متوازٍ بين المسمِّي والمسمَّى.

عاش الجاهليُّ مُقرًا بمكانة الحيوان، يضمن له الأكل والسقاية، ويوفّر له الحيوان النقل والحماية، ما يجعل العلاقات بينهما نفعيةً وذات قيمة اجتماعية كُبرى. بل أوجبَ العربيُّ على نفسه الدفاع عن الحيوان وإكرامه وإنْ لم يرجُ منه مَفادا. فقد استجارت قُبّرة بالملك كليب (440–496) وبَنَتْ عُشها بحماه، فحفل بإقبالها عليه على ضعفها وعدم حاجته إليها، فأنشد فيها مرحبًا يقول:

يا لكِ من قُبّرة بمعمري ... لا ترهبي خوفًا ولا تستنكري
قد ذهب الصيادُ عنكِ فابشري ... ورُفع الفخُّ فماذا تحذري
خلا لك الجوُّ فبيضي واصفري ... ونقّري ما شئتِ أن تُنقّري
فأنتِ جاري من صروفِ الحذرِ ... إلى بلوغِ يومِك المقدّرِ

إنَّ هذه القصيدة تُعدُّ أول إعلانٍ جاهلي من الإنسان عن حماية الحيوان من الصياد، بالعناية بالقُبّرة وبيضها وراحتها ورفعها لمستوى الضيوف والجيران. لذلك، وبعد أن داست ناقة البسوس عُش القُبّرة وكسرت بيضها، قتل كليبٌ الناقة (عدالةً باعتدائها على صغار القبرة) وأشعل حربًا ضروسًا عُرفت بحرب البسوس دامت بضعًا وعشرين سنة. وقال للقبرة معتذرًا:

يا طيرةً بين نباتٍ أخضرِ ... جاءت إليها ناقةٌ بمنكرِ
إنّك في حمى كليبِ الأزهر ... حَمَيْتُه من مذحجٍ وحميرِ

إنَّ القبرة والناقة أيقونتان ذات دلالاتٍ عميقة عن رؤية الجاهلي للحيوان في مرتبة الإنسان، فعلى أنَّ كُليبًا عوّض أصحاب الناقة بعشرةِ نوق، إلا أن التعويض لم يوقف الحرب في إشارةٍ هامةٍ أخرى عن قيمة الناقة عند أصحابها. تدل حرب البسوس بإيجاز على أن الحيوان كان محرك السياسات ومرتكزها في الجاهلية، ما أسهم في فرض مزيد من العقوبات نظمت العلاقة بينه وبين الإنسان.



مظاهر الطوطمية العربية

@abuahmedalqarni
12 رمضان 1438

عاش الجاهليون في علاقاتٍ تفاعليةٍ مع الحيوان أكسبته مكانةً خاصة في نفوسهم فقد كانوا يُجسّدون الظواهر العصية فيه كتجسيدهم للروح في صورة الهامة وربطوا مشاعرهم المستقبلية به متفائلين به تارةً ومتشائمين به أخرى، وجعلوا من الجن الذي هو في مخيلاتهم قرينُ الإنسان وأقربُ المخلوقات إليه نسلاً من الحيوان كما حكى المسعودي (896–957) في مروج الذهب.

هذه المظاهر الطوطمية عند الجاهليين تسببت في تقديس الحيوان حتى صاروا يعبدونه ويتوسّلون إليه، ويتمثّلونه في أصنامهم وأوثانهم، برفعها إلى مستوى الآلهة الوسيطة بينهم وبين اللّه "ليقربونا إلى اللّه زُلفى". يذكر أحمد عبدالموجود في "مفهوم العرب عن اللّه" بأن العرب لمّا كانت لا تجيد النحت والرسم، كانت تعبد الحيوان حيًّا لاشتراكه معهم في خصائصهم، وكانت القبيلة تمتنع عن أكله لاسيما إذا كان الحيوان هو الطوطم الخاص بها (أهـ). وربما لمّا لاحظت العرب فناء الحيوان، سعت لتدهيره وتجسيمه في صورةٍ لا تفنى، فبدأت الأصنام المرسومة على هيئة الحيوان تتسرب إلى الجزيرة، كصنم يغوث وقد كان على هيئة الأسد من مصر والحبشة، ويعوق على هيئة الفرس في اليمن، ويعبوب على هيئة فرس آخر من أصنام قبيلة طيء، أما قبيلة حمير اليمنية فقد كانت تعبد قبل اعتناقها لليهودية صنمًا على هيئة النسر وهو من آلهة الساميين القدماء. كما كانت قريش تلف حول الكعبة الأصنامَ أناسيَّ وحيوانات، وتضع بجوفها غزالين من ذهب تكريمًا لمقامها. وما هذا الارتقاء للحيوان في السلمِ الوجودي إلا معطيات ذات دلالات قيّمة وصل بها الحيوان إلى مرتبةٍ أقرب للآلهة، ولعلها نتيجة عن انغلاق عالم الحيواني عن الفهم البشري وايصاد طرائق التواصل الفعلي معه، حتى سُميّت الحيوانات بـ"العجماوات".

أشاعت هذه الأصنام والتماثيل شعورًا تقديريًّا عامًا تجاه الحيوان الحيّ، فمكانته كمعبود قربته إلى الآلهة من الإنسان وأعطته مزايا واعتبارات خاصة. حتى صار الجاهليون يقدّرون الحيوانات الحيّة بل يشركونها في قراراتهم المصيرية، فإن ضلّ القومُ طريقهم في الصحراء وأيقنوا بعطشهم وهلاكهم، أطلقوا الجمل الهرم وتركوا زمامه على ظهره متفائلين بمعرفته، فيصعدُ بهم تلالاً وينزل بهم وهادًا، وهم خلفه حذو الحافر بالحافر حتى يُبلغهم مقامهم وما كادوا يهتدون.

قيمة الحيوان السياسية

@abuahmedalqarni
13 رمضان 1438

رغم أنَّ السياسيين معنيون بالقضايا الكُبرى في دولهم ويتمتعون بثراءات فاحشة توفر لهم صنوف الملذّات والملهيات، إلا أن التاريخ يحفظ لنا صفحات بارزة من تنازلهم الطبيعي في علاقاتهم مع الحيوان، وعنايتهم بها ورفعها لمستوياتهم تقديرًا وتبجيلاً، وما هذا النزول الملكي لمرتبة الحيوان إلا مُعطى جديدًا لحاجة الإنسان للحيوان مهما بلغ من مراتب.

فقد أشارت عالمة الآثار فيونا مارشل بجامعة واشنطن بأن الحمير كانت تُقبر قبل 5000 سنة مع ملوك مصر القديمة، في مقابر خاصة بالنبلاء، إذ كان الحمار من الطبقات العليا. كما كان عبدالمطلب (جد النبي ﷺ) من أسياد قريش وشرفائها ومن عظماء رجالاتها في السياسة وكانت تسميه قريش بـ "مُطعم طير السماء" إذ كان ينثر الحبوب للطيور على قمم الجمال. ويقاسم الوحوش والسباع ما يُرفع من مائدته. وذكر الفخري في (الآداب السلطانية) بأن يزيد بن معاوية كان شغوفًا بكلاب الصيد، ويُعلي مكانتها ومنزلتها بين الناس، بل كان يضع في قوائمها الأساورَ من الذهب والجلال المنسوجة، ويهب لكل كلبٍ عبدًا يخدمه (ص 55). وما تسخير الإنسان لخدمة الحيوان إلا دلالة على أن يزيد كان يرى الحيوان ذا مرتبةٍ موازيةٍ للإنسان. بل كان الحيوان هدايا الملوك القيّمة إذ يذكر شهاب الدين العمري في (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) بأن ملك النوبة أهدى إلى المتوكل (822–861) قردين أحدهما خيّاط والآخر صانع. ومن قردة أهل اليمن حتى أن البقّال والقصّاب كان يسلم القرد دكانه فيحفظها أشد الحفظ حتى يرجع. كما وضع صلاح الدين الأيوبي (1138–1193) وقفا للبهائم المكسورة والمريضة وكان يضمن لها علاجها وطعامها وشرابها حتى تشفى.

ولا تزال الخيول الأصيلة حفيّة الملوك والأمراء في الدول الخليجية ليومنا هذا، إذ تُعرف سلالاتها وجذورها الأولى بأسماء آبائها وأجدادها كالإنسان، كما صعدت الإبل وذاع صيتها في مهرجانات "مزايين الإبل" في تحولٍ استثنائي اعتباري لقيمة الحيوان من منطلقٍ جَمَالي وللمرة الأولى في الثقافة العربية. هذا الدخول الواسع للحيوان إلى القصور السياسية والملكية ووصوله لأرائك النخب البرجوازية ساهم وسيساهم في تسهيل مطالبات "حقوق الحيوان" المستقبلية وفرض قوانين وعقوبات لها بين الشعوب.



مكانة الحيوان الأدبية

@abuahmedalqarni
14 رمضان 1438

العلاقةُ بين الحيوان والإنسان علاقةٌ طبيعيةٌ تحكمها المودة والمحبة، ولا يفسدها إلا الفروضاتُ الأيديولوجية التي قد تغري بينهما العداوة والبغضاء، وقد وثّقت الثقافة العربية ملامح من هذه العلاقات بين الحيوان وكبار المحدثين والأدباء، ما يمكن تصنيفهم اليوم على أنهم من أكابر السلف المنادين بـ"حقوق الحيوان".

فقد نال الكلب لوفائه محبةً في نفوس أصحابه، بل بلغ أن كان صاحب بعض رواة الحديث كأبي بكر بن المرزبان (855–921)، وقد كان ابن المرزبان مترجمًا نقل عن الفارسية خمسين كتابًا، ما يُنبئ عن اتساع أفقه الثقافي والمعرفي، إذ لم يتعيّب من صحبة الكلب بل صنّف فيه كتابًا بعنوان "تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب" جعل الكلبَ فيه على مرتبةٍ أعلى من الإنسان فضلاً وإحسانًا. فقال فيه "واعلم أنَّ الكلب لمن يقتنيه، أشفق من الوالد على ولده، والأخ الشقيق على أخيه، وذلك أنه يحرس ربه، ويحمي حريمه، شاهدًا وغائبًا ونائمًا ويقظانًا، لا يقصر عن ذلك وإن جفوه ولا يخذلهم وإن خذلوه" (ص 52). كما نال الكلب تقدير الشعراء والأدباء، فقد رثا أبو نواس (756–814) كلبًا له يُدعى "خلاب" مات بعد أن لسعته الحية، كذلك رثا الأديب، صاحب العبقريات الإسلامية، عباس محمود العقاد (1889–1964) كلبه "بيجو" بعد وفاته. وكان القط قريبًا من الإنسان منذ لحظته الأولى، فقد مدحه الفقيه والمفسر أبو عمران المارتلي (522–604) ومدح سريرتَه وأشار لخفةِ مؤنته وسلامةِ مجالسته، قائلاً "نعم الجليس الهر، لا يبوح بسر، كريم المؤانسة، سليم المجالسة، لا يهمز ولا يغتاب، ولا صاحبه منه بمرتاب. يحفظه إذا نام، ويطرد عنه الهوام. منافعه كثيرة ومؤنته يسيرة، فاقتصر عليه أنيسًا واتخذه جليسًا." وقد رُثي القط بعد وفاته، كرثاء ابن العلاف النهرواني (؟–903) لقطه بعد أن قتله جيرانه بصخرةٍ ضخمة لاعتدائه على دواجنهم، ورثاء أبي الحسن التهامي (؟–1023) وأحمد زكي أبو شادي (1892–1955) وحسن كامل الصيرفي (1908–1984) لقططهم من بعد موت كما لقيت الطيور (كالطاؤوس والبلبل والديك) رثائيات من أصحابها.

هذه المحبة هي من أفرز كليلة ودمنة لابن المقفع (724–759) والحيوان للجاحظ (775–868) وعجائب المخلوقات للقزويني (1203–1283) وحياة الحيوان للدميري (1344–1405) كدلالة على مكانة الحيوان الثقافية في نفوس الأسلاف.

نظرة دينية



الحيوان في الديانات الشرقية

@abuahmedalqarni
15 رمضان 1438

قدّمت الديانات الشرقية (الهندوسية والبوذية) نظرات متجددة ترصد العلاقة الوثيقة بين الإنسان والحيوان، على رأسها فكرة "تناسخ الأرواح" (reincarnation) التي ترى انتقال الروح من الإنسان إلى الحيوان (أو العكس)، الأمر الذي يعطي دلالة عميقة على أن أجساد الكائنات جميعًا ما هي إلا أوعية فارغة تحمل أرواحًا متباينة. هذه النظرة ساهمت في تشجيع التعاطف مع الحيوانات كونها أرواح أشخاص عزيزة على البشر، كما حسّنت السلوك الإنساني تجاه الحيوان إذ صار الإنسان يؤمن بأن الحيوان وعاؤه بعد فنائه، وقضت على فكرة التمييز بين الكائنات (speciesism) القائمة على الشكل الظاهر.

ولأن هذه الديانات تعتنق فكرة "الكارما" أي أن الإنسان سينال ما يفعله ثوابًا أو جزاءً في المستقبل، أصبحت أذية الحيوان تعني أذية الذات بشكل مباشر. فشجعت هذه الديانات احترام الحيوان وأعطته حقوقه في فترة مبكرة من الحياة الفكرية البشرية. فبدأ الإمبراطور أشوكا (304-232 ق.م) يبني مشافي للحيوان ويصدر قوانين ضد الصيد والقربان، ولأول مرة في الثقافات الإنسانية جمعاء، وذلك دعمًا لشريعة أهيمسا (شريعة اللاعنف). يرى البروفيسور الإنجليزي المناصر لحقوق الحيوان روبرت جارنر (1960-) بأنَّ شريعة أهيمسا هي أفضل الشرائع المساهمة في حركات "حقوق الحيوان"، إذ تم توظيفها بالشكل المناسب لدى الديانة الجاينية حتى حرّمت إيذاء المخلوقات كليًّا، بحيث أصبح الجاينيون يجرفون الحشرات خارج منازلهم بحذرٍ شديدٍ دون مسها بضرر. ولأن قتل الحيوانات جريمة، صار أكثر الملتزمين حرفيا بتلك المعتقدات "نباتيين"، أي لا يأكلون ذوات الأرواح وهو تحوّلٌ صحيٌّ محمود إذ أوضحت الدراسات بأن أكل الخضروات والحبوب فقط يقلل عدد الوفيات بـ ٨ مليون انسان سنويًا، ويحل مشكلة غازات الاحتباس الحراري بنسبة٧٠٪، كما يحل مشكلات السمنة ويحسّن الاقتصاد العالمي بتوفير ١٠٠٠ مليار دولار سنويًا مصروفات الرعاية الصحية وتوفر ٥٧٠ مليار مصروفات الاحتباس بتخفيض الغازات (انظر goo.gl/ma77Fs).

لقد قدمت هذه الديانات الشرقية أفضل الأنظمة الحقوقية والغذائية وعَنَت بمتواليات "حقوق الحيوان" من "حقوق البيئة" بمعطياتٍ علميةٍ مشجعة، ما يُعطي التزام الإنسان بها ثمرات وخيرات يُلمس نفعها على البشرية جمعاء.



الحيوان في الديانات الإبراهيمية

@abuahmedalqarni
16 رمضان 1438

القارئ في قصص الأنبياء يجد أن سيرة النبييَن نوح وسليمان عليهما السلام من أمتع السير في علاقتها بالحيوان. فقصة الطوفان الذي أصاب قوم نوح تبين قيمة الحيوان الوجودية في الحياة. كما تبين قصة امتلاك سليمان منطق الطير جانبًا إيجابيًّا عن تفاصيل العالم الحيواني وتأكيدًا على قدرته في التواصل.

فبعد أن يئس نوح من إيمان قومه، جمع في فلكه ثمانين مؤمنا وحمل من الحيوان من كل زوجين اثنين، في دلالة واضحة على أهمية الإعمار بالحيوان بعد الطوفان. حمل نوح بفلكه أكبر حديقة حيوان في العالم، كما وفر لكل حيوانٍ طعامه الخاص وهي إشارةٌ أخرى لعنايته بحقه في المأكل والمشرب. يحكي ابن عباس أن أول من صعد الفلك الدرة وآخرهم الحمار، وكان أسفل السفينة للدواب ووسطها للبشر وأعلاها للطير وربما لهذا الترتيب مؤدّاه الثقافي في مخيلات المخبرين. لما اشتكت المواشي وجود الأسد، سلّط اللهّ عليه الحمى، ولما اشتكوا إفساد الفأرة عطس الأسد فخرجت منه الهرة فهربت الفأرة، وهذه الإسرائيليات والخرافات تشفُّ عن إعجاب المخبرين بالقصة المثيرة وسعيهم لتبرير طرائق التعايش بين الحيوانات على السفينة. والإشارة الأهم تبرز في أن نوح تخلى عن ابنه رغم إنسانيته وحمل بدلاً عنه الحيوان المؤمن رغم أنه أقل منه درجة في الشعور البشري. أما قصة سليمان فتحكي رغبة الإنسان الأول في التواصل مع العالم الحيواني والتأكيد على قدرته النطقية ما يختزل الاختلاف بينه وبين الإنسان في العقل دون النطق، فقد أوتي سليمان منطق الطير فكان يكلمه في أولى صور اختراق عالمه وتبيان سلوكياته للناس فكان يحكي لأصحابه طريقة خطبة العصفور للعصفورة فيشوّقهم بعالمه الشبيه بالإنسان، ويخبر أصحابه باستسقاء النملة قائلا "قد كفيتم حاجتكم". في إشارةٍ لحب اللهّ للحيوان وسرعة استجابته لدعائه قبل دعاء الإنسان، كما كان يجتمع بالحيوانات ويتفقدهم واحدًا واحدًا فيسأل عن الهدهد حتى صار أول الرسل الحيوانية في تأكيدٍ على أهليّة الحيوان وأحقيته وقدرته على حمل الرسالة.

رغم أن قصة نوح وسليمان لم تتناولا "حقوق الحيوان" صراحًا، إلا أن موضع الحيوان في متن القصتين جدد في الناس شعورًا تقديريًّا لـ (1) قيمة الحيوان الوجودية الإعمارية (عند نوح) و(2) قدرته النطقية التواصلية (عند سليمان).

الحيوان في الديانة اليهودية

@abuahmedalqarni

17 رمضان 1438

يُحسب للديانة اليهودية دورها الأصيل في حفظ حقوق الحيوان، وذلك بتخفيف الآلام التي يتعرض لها، كونه أحد أطراف الميثاق الذي عقده اللّه مع البشر، بقوله "قد عقدت ميثاقي معكم ومع أصلابكم من بعدكم، ومع كل الأحياء معكم من طيرٍ وبقر" (سفر التكوين 9/0–10) . كما عُرفت اليهودية بقانون "تزآر بآلي تشيم" (قانون الرحمة لجميع المخلوقات) وهو أحد المبادئ اليهودية الثابتة التي حرّمت أذية الحيوانات، وتخفيف الأثقال عليها (الخروج، 23:5).

على أن اليهودية كغيرها من الديانات الإبراهيمية تعتقد بهيمنة الإنسان على الحيوان وبالتالي جواز الانتفاع بلحمه ووبره، إلا أنها ساهمت في اتخاذ التدابير السلميّة في التخفيف عن الحيوان قدر الإمكان، بل قدّمته في المأكل والمشرب بحيث أوصت الإنسان أن يطعم حيوانه قبل نفسه (التثنية، 11:14)، وأراحته كالإنسان في يوم السبت (التثنية، 12:4). كما استشعرت الآثار النفسية لذبح الحيوانات على القرابة الأسرية فيما بينها فحرّمت ذبح البقرة وعجلها في نفس اليوم (اللاويين، 22:28). ومن أبرز المساهمات اليهودية في مسألة حقوق الحيوان تحريمها لهواية الصيد الجائر ووصفها بالشائنة بحيث تثرب على الصيادين فعلها وتحثهم على دسها في التراب (اللاويين، 17:13). ففي كتب التوراة، تم تجسيد المحسنين إلى الحيوانات (كالرعاة الأنبياء: يعقوب وموسى والملك داوود) بالأبطال بينما جُسّد الصيادون (كالنمرود وعيسو) بالأنذال. ويكفي ما أورده التلمود من إشارة لحق الرفق بالحيوان وإن كان ذبحه مشروعًا دينيًا، فقد أورد التلمود قصة الأمير يهودا الذي لجأ إليه عجلٌ فرَّ من المجزرة واختبأ تحت ثوبه، فلم يرحمه رغم رِعْدته وتوسّلِه إليه بل طرده قائلاً "اذهب، فلهذا خُلقت". فابتلاه اللّه بحصى الكلى وأمراض معدية قائلاً "لأنه لم يرحم، فلنبتليه". فما رفع اللّه عنه بلواه حتى أحسن إلى الحيوان بمنع خادمته من إيذاء صغار حيوان السمّور.

مع هذا لا تزال الحركات اليهودية التحريرية تسعى لتنظيف عقيدتها من بعض الطقوس الوحشية ضد الدجاج فيما يسبق يوم الغفران وحشد المظاهرات المعارضة لها. ومن أبرز المساهمات المشكورة في ثني اليهود عن تعنيف الحيوان مساهمات الحقوقي البولندي ألكس هرشافت (1934–) رئيس حركة حقوق حيوانات المزارع وتعد أقدم منظمة حقوقية يهودية في هذا الاتجاه (عام 1976م).

الحيوان في الديانة المسيحية

@abuahmedalqarni

18 رمضان 1438

عُرف المسيح عليه السلام (4 ق.م – 33م) بالرحمة والإحسان، فقد كان رجلاً بسيطًا من رعاة الغنم، وما هذه الوظيفة النبوية إلا إشارةٌ لاقتراب الأنبياء من الحيوان. رغم ذلك، إلا أن الديانة المسيحية كغيرها من ديانات ديانة ذات مركزية إنسانية (humano-centric)، تعتقد بفكرة "هيمنة الإنسان على الكائنات" وقد دامت هذه الفكرة تاريخيًّا إلى هذا العصر عند كبار القديسين من أمثال أوغسطينوس (354–430) وتوما الأكويني (1225–1274) وانتهاءً بأعظم الثيولوجيين البروتستانت في القرن العشرين كارل بارث (1886–1968).

مع هذه المواقف الأيديولوجية، لا تزال ثمة وقفات مضيئة من التاريخ المسيحي في معاملة القديسين للحيوان بإحسانٍ تام، بما ينتهي أحيانًا إلى رفعه في المرتبة العقلية ومحادثته كإنسان، كمعاملة القديس أنطونيو اللشبوني (1195–1231) في محادثاته الدائمة للأسماك، والقديس فرنسيس الأسيزي (1181–1226) الذي كان يطعم الطيور والحمام ويسميها أخوانه وأخواته ويقف من أجلها أثناء سفراته ويحادثها لكونها انعكاسًا للإله، نهايةً بتصريح البابا فرنسيس (1936–) الذي راجع هذه الهيمنة الإنسانية قائلاً "في هذا العصر، لم يعد بوسع الكنيسة أن تُصرّح بأن الحيوانات خاضعة لهيمنة الإنسان وحاجاته". ومثل هذه الممارسات والتصريحات بالتوافق مع اعتبارات تاريخية ساهمت في أعادة تأويل فكرة هيمنة الإنسان على الحيوان على أنها قوامة وشراكة في الأرض لا أكثر. ولهذه الفكرة أُسسٌ ومنطلقات مسيحية باعتبار أصول الإنسان/الحيوان في الإله، ووصف الجنة على أنها موطن للإنسان والحيوان على السواء، يتعايشان فيه بسلام بحسب النبي أشعياء. فكرة دخول الحيوان إلى الجنة تعطي الحيوان قيمة اعتبارية فُضلى إذ أصبح وجوده في الجنة جزاءً ونعماء للبشر، وهي فكرة يندر وجودها في الديانات الأخرى.

ليس ثمة من شك بأن أكثر حركات "حقوق الحيوان" في العالم هي حركات مسيحية الأصول، باعتبار المنتمين إليها، على رأسهم وليام كاوهيرد (1763–1818) أول قسيس مسيحي يؤسس لفكرة "النباتية المسيحية" فقد نادى أتباعه للتوقف عن أكل الحيوانات تورعًا وزهدًا، بالإضافة لأندرو لنزني (1952–) أشهر القساوسة الكتّاب ذوي النشاط الكثيف في الدفاع عن حقوق الحيوان.

الحيوان في الديانة الإسلامية 1

@abuahmedalqarni

19 رمضان 1438

جاء النبي ﷺ متممًا لمكارم الأخلاق، فبسط معالم ديانةٍ ذات بعدٍ أخلاقي رفيع في التعامل مع جميع الكائنات، داعيًّا إلى الإحسان إليها والرحمة بها. فنزلت سور القرآن بأسماء حيوانات كالبقرة والفيل والأنعام وبأسماء حشرات كالعنكبوت والنحل والنمل تأكيدًا على رفعة مكانة من يسمي اللهّ كلامه به. كما ركّز الإسلام على القيمة الجمالية للحيوان في تفردٍ يندر وجوده في الديانات الأخرى فأكّد على جَمَاله وزينته قائلا "والأنعام خلقها...ولكم فيها (جَمَالٌ) حين تُريحون وحين تَسرحون" و"الخيل والبغال والحمير لتركبوها و(زينة)" (النحل، 6-8).

دعا الإسلام إلى الرفق بالحيوان وذكّر بأن "ما من دابةٍ في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم" (الأنعام، 38)، في تصويرٍ تشبيهي بين أمة الإنسان والحيوان. وليس أجلَّ من أن يربط مصير الإنسان في الآخرة بعلاقته مع الحيوان، كأن يعد ساقي الكلب العطشان بالجنة والغفران ويتوعد حابسة الهرة بالنار والحرمان، ليسأله أصحابه بعد ذلك "وإنَّ لنا في البهائم أجرًا يا رسول اللهّ" ليقول "في كل كبدٍ رطبةٍ أجر" ما جعل الرفق بالحيوان رفقًا مندوبًا إليه ومأجورًا مشكورا. ولأن اللهّ قد جعل الحيوانات مُسخّراتٍ والطيرَ يسبحن له ما تتابع الليل والنهار، يمكن القول بأنَّ إدخال ساقي الكلب الجنة متوقعٌ إذ هو إحسانٌ لمن يسبح للهّ، إذ سيكون له بإعانته بالطعام والشراب مثل أجر تسبيح الحيوان ما تتابع الليل والنهار، ولا يكون ذلك إلا لمن أحسن لمن سخره اللهّ للتسبيح، كما كان هذا المصير الجحيمي لحابسة الهرة متوقعًا إذ هو لمن عذّب من يسبّح اللهّ وجوّعه وحَرَمَه أو طارده ورَجَمَه بلا وجه حق، فغضب اللهّ عليه فكان عنده بمثابة من "منع مساجد اللهّ أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها" (البقرة، 114).

كان النبي ﷺ يرأف بالحيوان ويحمي حقوقه، فقد رأى حمارًا وُسِمَ على وجهه فقال "لعن اللهّ من وَسَمه". ورأى جملاً هزيلًا فقال لصاحبه "أفلا تتقي اللهّ في هذه البهيمة التي ملّكك اللهّ إياها؟" ومنع المساس بالطبيعة وتخريبها ودعا لصيانتها من العبث موجهًا الصحابة بعد أن أخذوا فراخ طائر "من فجع هذه بفراخها؟ رُدُّوا عليها فراخها!". كما منع الصيد الجائر قائلاً "من قتل عصفورًا عبثًا عَجَّ إلى اللهّ يوم القيامة يقول: يا ربّ، إن فلانًا قتلني عبثًا ولم يقتلني لمنفعة" وهي وعيدٌ لمن يقتل حيوانًا أو يدهسه عبثًا بأنه يوم القيامة مسؤول.

الحيوان في الديانة الإسلامية 2

@abuahmedalqarni
20 رمضان 1438

يُعاتب غالب المسلمين، المهتمين بـ "حقوق الحيوان" بأن الإنسان أولى بالطعام والشراب من الحيوان، متناسين فعل أبي هريرة رضي اللّه عنه إذ كان له قطة يحملها أينما ذهب، ويطعمها ويسقيها في عصرِ المجاعة والجفاف. وما كان النبي ﷺ يمنعه من عنايته بقطته، ولم يكن يوصيه بأن يقدم الناس بالطعام عليها، بل كان يقول عن القطط "إنها ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم والطوافات". وكان النبي ﷺ يرى عناية الأطفال بالطيور وما كان يوجّه بعدم تربيتها أو طردها من المنازل بحجج الأمراض والأسقام بل كان يسأل أبا عمير – وقد كان فطيما – عن حال طائره وأخباره مستبشرًا: يا أبا عُمير ما فعل النغير؟!

كان النبي ﷺ يسعى لأن يرسّخ في صحابته فكرة الرحمة بالجميع، ويذكّر بأنه ليس من عبدٍ يدخل الجنة بعمله، إنما برحمة اللّه، فقالوا له: ولا أنتَ يا رسول اللّه، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني اللّه برحمةٍ منه وفضل. وعلى ذلك اهتدى كثيرٌ من المسلمين إلى العبادة بالرحمة للكائنات، معترفين بذنوبهم مُقرِّين بأنهم مهما أدّوا من عبادات لن يدخلوا الجنة إلا برحمتهم لمن في الأرض، لاسيما وقد ربط رحمته بذلك بوصية النبي ﷺ "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". بذلك، تصبح الرحمة الطريق الضامن إلى الجنة. يمكن الاحتجاج وبحسب السيرة النبوية بأن النبي ﷺ كان نباتيًا لا يأكل ذوات الأرواح أو لنكن أكثر حذرًا لنقل بأنه شبه نباتي (semi-vegetarian) وأبعد عن اللحومي ولا يمنع أكل اللحوم ولا يُحرّمها. فلم تُورد الأحاديث عن طعام النبي ﷺ بأنه كان يأكل اللحم صراحةً، بل كان طعامه بحسب الأحاديث الصحيحة الحلواء والعسل، والتمر واللبن، والأدم الخل، وزيت الزيتون، وخبز الشعير. ومن دلائل عدم رغبته في اللحم امتناعه عن أكل الضب وعدم إيقاده النار في بيته (والنار دلالة طبخ اللحوم) فقد قالت عائشة "ما أوقدت في أبيات رسول اللّه نار، فقال عروة: يا خالة، وما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء" (متفق عليه).

وقد تأثر كثيرٌ من السلف النيّر بفكرة النباتية الإسلامية. فكان أبو عيسى الورّاق مثلا لا يأكل ذوات الأرواح بل منع ذبحها وصنّف كتابًا أسماه "النوح على البهائم". كما كان أبو العلاء المعري (973–1057) لا يأكل الحيوان كذلك ويرى ذبحه ظُلمًا له وإيلاما، وما هذه المواقف إلا إنارةٌ لمستقبل "النباتية" في الإسلام.

الحيوان في الديانة الإسلامية 3

@abuahmedalqarni

21 رمضان 1438

رَغْم ما للكلب من خصالٍ محمودة متمثلةً في وفائه الشديد لأصحابه، إلا أنه أكثر الحيوانات تعرُّضًا للظلم والاضطهاد في المجال التداولي الإسلامي، وذلك تأسيسًا على فكرة نجاسته، على أنَّ الفقهاء قد اختلفوا في هذه المسألة على ثلاثة أفرق. فيرى الفريق الأول أنَّ الكلبَ نجسٌ كله، شعره وجلده وظِفره وسؤره\ريقه، وذلك بدليل "طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات" وقد قال بذلك الشافعية والشيعة ورواية ضعيفة عن أحمد بن حنبل صححها الحنابلة المتأخرون كابن باز (1910–1999) وابن عثيمين (1929–2001).

أما الفريق الثاني فيرى بأنَّ جلد الكلب وشعره طاهر لكن سؤره هو النجس، وذلك لأن الأصل في الأشياء الطهارة إلا ما ورد في نجاسته نص (أي سؤره فقط بنص: إذا ولغ الكلب في إناء)، وقال بذلك الأحناف والحنابلة برواية صحيحةٍ لابن حنبل، وقاله من الشيعة الشريف المرتضى ومحمد الصادقي الطهراني. أما الفريقُ الثالثُ فيرى بأن الكلب طاهرٌ كله حتى سؤره، وهم المالكية والظاهرية والأباضية وهو مذهب الحسن البصري وابن الزبير ومالك بن أنس وابن حزم والثوري والشوكاني. ودليلهم على ذلك بأنه لو كان سؤر الكلب نجسًا لما أحل اللّه للصيادين ما يصيده الكلب بفمه بقوله "يسألونك ماذا أُحلَّ لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح (مُكلّبين)" وهو دليلٌ قرآني يُزاحم الدليل النبوي (إذا ولغ الكلب فيه أن يغسله سبع مرات) وقد ردّ الإمام مالك غسل الإناء بأنه للتعبد فقط. أما الدليل الثاني فمن حديث البخاري حيث "كانت الكلاب تبول وتقبل وتدبر في المسجد في زمان الرسول فلم يكن يرشون شيئًا" فلو كانت الكلاب نجسةً حقًا لأمر بإخراجها ورش ما تلامسه من الأرض بفمها، ثم مرافقة الكلب لأصحاب أهل الكهف كدليل ثالث، فلو كان الكلب نجسًا لما كرّمه اللّه بهذه الرفقة الشريفة، وشرعُ من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يرد ناسخ.

كما يحتج كثيرون بـخطء تربية الكلاب بأنّ الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب، وقد ردّ على هذا الاحتجاج المفتي علي جمعة (1952–) بأنَّ البيتَ الحجرةُ، بينما المنزلُ هو الدار، فلا بأس من دخول الكلب الدار، لأن الملائكة تدخلُ الدار لكنها لا تدخل البيت. وقد استمد علي جمعة دليله في التفريق الدلالي من حديث الفتنة، إذ كان التوجيه "أن يلزم المرء داره، فإذا دخل عليه داره فليدخل بيته (أي حجرته)".

نظرة فلسفية



الحيوان في الفلسفة القديمة

@abuahmedalqarni

22 رمضان 1438

بدأ أولُ اهتمامٍ فلسفي بمسألة "حقوق الحيوان" في القرن السادس قبل الميلاد في اليونان وكان الاختلاف محمومًا لاسيما وكانت بعض الحيوانات لدى الأغريق في مرتبة الآلهة كالدولفين. وقد نشأت في تلك الفترة أربعُ مدارس بحسب نظرتها إلى الحيوان والإنسان: (1) الأحيائية (animism) وهي الفكرة القائلة بأن كل الأشياء والأماكن والمخلوقات تمتلك جواهر روحيّة وحيّة، و(2) المذهب الحيوي (vitalism) وهي الفكرة القائلة بأن الكائنات الحية تختلف عن الأشياء غير الحية. و(3) الميكانيكية (mechanism) وهي الاعتقاد الفلسفي بأن الأشياء الطبيعية والكائنات الحية ما هي إلا آلات ومكائن مُعقّدة تتشكل من أعضاء لا يربطها أي علاقة عضوية و(4) المركزية الأنثروبولوجية (anthropocentrism) وهي التي ترى الإنسان أهم موجود في الكون على الإطلاق.

ساهمت هذه المدارس الفكرية في نشأة الاتجاهات والتيارات المتصارعة حول "حقوق الحيوان" إلى هذا العصر. فقد كان فيثاغورس (580–500 ق.م) من مدرسة الأحيائية وكان من دعاة حقوق الحيوان إذ كان يؤمن بتناسخ الأرواح بين الحيوان والإنسان. بينما كان أرسطو (384–322 ق.م) على النقيض من مدرسة المركزية الأنثروبولوجية وكان مُعارضًا لأفكار فيثاغورس إذ نظّر إلى فقدان الحيوان للعقل والتفكير واضعًا الإنسان في مرتبة أعلى منه. كما أسس رِفقة معلمه أفلاطون (428–348 ق.م) بمساهمة من أفلوطين (204–270 ق.م) وبرقلس (412–485 ق.م) "سلسلة الوجود الكبرى" (The Great Chain Of Being) وقد أصبحت هذه السلسلة شديدة الشيوع عالميا وذات أصول دينية تنتظم فيها الحيوانات وأجزاء الكون من أجرام وملائكة وشياطين في تراتبيّة مُطلقة.

كان أول من أعلن احتجاجه على فكرة أرسطو التراتبية، طالبه الفيلسوف ثيافرستس (371–287 ق.م) الذي نظّر لقدرات الحيوان العقلية والشعورية كالإنسان وعلى ذلك كان من أوائل المعارضين لفكرة أكل الحيوان وأحد رموز النباتية القدماء إلى هذا العصر. هذه الفكرة لثيافرستس لم تسد في اليونان كسيادة أفكار أرسطو، حتى تلقاها الفيلسوف فرفوريوس الصوري (234–305) فوسعّها وأصّلها وكتب على إثرها كتابه "الامتناع عن أكل الحيوان" كما وقف على أساسها ضد فكرة القرابين والأضحيات كاتبًا "الامتناع عن قتل الحيوان".



الحيوان في الفلسفة الوسيطة

@abuahmedalqarni
23 رمضان 1438

يُعدُّ الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596–1650) أول من طرح نظرية ميكانيكية للعالم فقدمه كإنعكاسٍ للتجربة الشخصية وأخرج عقل الإنسان من العالم الحسي وربطه بعقل الإله. أما عقل الحيوان فزعم بأنه آلة ذاتية التشغيل (automata) أي بلا روح ولا تفكير ولا شعور. هذه الفكرة الشيطانية جعلت الكاهن الفرنسي نيكولا مالبرانش (1638–1715) يصرّح بأن الحيوان يأكل بلا لذة، ويبكي بلا ألم، ولا يريد شيئا ولا يخاف شيئا ولا يعرف شيئًا!

كانت هذه الأفكار الفلسفية الامتهانية لقيمة الحيوان أسوأ بكثير من الأفكار الدينية التي كانت تحفظ الاعتبار للحيوان. وقد أثارت فضول الفيلسوف البريطاني جون لوك (1632–1704) ليختلف عن ديكارت مؤكدًا بأن الحيوان له شعور يتألم به كالإنسان، فدعا إلى منع الأطفال من ممارسة العنف تجاه الحيوانات قائلاً بأن قتل الحيوان يحجّر قلوبهم ويفسد مشاعرهم تجاه الناس، وهو ما أثبتته الدراسات النفسية لاحقًا حيث وجدت ارتباطًا وثيقًا بين المجرم وتاريخ طفولته المسيء للحيوان. كان جون لوك يدعو إلى احترام الحيوان من منطلق احترام مالكه فقط، فهو حق من حقوق الإنسان وليس له حقوق، وقد راجت هذه الفكرة في أعمال الفيلسوف الألماني إمانيول كانت (1724–1804) الذي يرى بإن إساءة معاملة الحيوان هي إساءة للبشرية. تأسيسًا على هذه الطروحات، وفي حديثه عن إمكانية إدخال الحيوان في القانون الطبيعي (أي الفلسفة القائلة بأن بعض الحقوق هي مكتسبة من خلال الطبيعة أو الإله)، رأى الفيلسوف السويسري جان جاك روسو (1712–1778). بأن الإحساس\الشعور (sentience) يبرّر إدخال الحيوان في القانون الطبيعي قائلاً بأن على الإنسان أن لا يضر بقية الكائنات، واحتج بأن الدافع لذلك ليس لأن الحيوان يعقل، ولكن لأنه يشعر، والشعور بالألم هو المشترك بين الإنسان والحيوان.

زاد في تأكيد مشاعر الحيوان الفيلسوف الإنجليزي النباتي جيرمي بنثام (1748–1832) وخالف في العقلانية إذ احتج بوجود أطفال كالحيوان ليسوا عقلاء، ولكن شعورهم بالألم – كالحيوان – يكفل لهم حقوقًا. شعور الحيوان بالألم وعدمه فكرة سادت في القرن السادس والسابع عشر وتسببت في إعادة هيكلة بعض القناعات الفلسفية عن مكانة الحيوان في النظام الحقوقي لاحقًا.



الحيوان في الفلسفة الحديثة

@abuahmedalqarni

24 رمضان 1438

تسببت فكرة "شعور الحيوان بالألم" في القرن السادس والسابع عشر في إصدار أول أنظمة قانونية حمايةً للحيوان في التاريخ بإيرلندا عام 1635م وبأمريكا الشمالية عام 1641م وبإنجلترا عام 1654م، كان أعظم وأهم القوانين قدرًا وقيمة قانون مارتن الذي سُنَّ عام 1821م بإيرلندا، نسبةً للبرلماني ريتشارد مارتن (1754–1834) الذي اختطف قانونًا لحماية الأحصنة، وسط ضحكات أعضاء البرلمان عليه خوفًا من أن يمتد قانونه ليشمل حماية الحمير والكلاب! كان هذا القانون تاريخيًّا بحق وذا متواليات إيجابية لم تكن بالحسبان.

فقد تسبب قانون مارتن بعدها بثلاث سنوات (أي عام 1824م) في تشجيع المتعاطفين مع الحيوان ليشكلوا أول جميعة رسمية لحماية الحيوان في التاريخ (RSPCA)، تُعنى خصّيصا بشؤون الحيوان والدفاع عنه، وهي تعد إلى اليوم أقدم وأكبر منظمة لحقوق الحيوان في العالم إذ يعمل بها 1.667 موظف وساهمت في دعم 150.833 قضية انتهاك لحقوق الحيوان فقط لعام 2012م. ومنذ تأسيس هذه الجمعية بالتحديد، بدأت الكتب الفلسفية المطالبة بحفظ "حقوق الحيوان" في الذيوع والانتشار، قاذفة بمسألة تراتبية الحيوان والإنسان عرض الحائط، وقادحة في نظرة ديكارت الصادمة والمهينة للحيوان. كان لانتصارات الجمعية آثارها في فكر الفيلسوف الألماني أرثر شوبنهاور (1788–1860) والذي رحب بتغير أوروبا قائلاً بأنَّ الأوربيين بدأوا في التيقظ والانتباه بأن للحيوان حقوق، فهاجم الصيد وصراع الثيران وعمليات التشريح للحيوان مشككًا في نتائجها لقاء ما يتعرض الحيوان لأجلها من آلام، كما هاجم فكرة مواطنه إيمانيول كانت القائلة بأن الوحشية ضد الحيوان مُسيئة فقط لأنها وحشية ضد الإنسان.

في هذه الظروف البهيجة، ظهر الأحيائي الإنجليزي تشارلز داروين (1809–1882) بنظريته الثورية النشوء والارتقاء ليزيد الحفلة مرحًا بتغيير النظرة العامة للحيوان كليًّا، باعتباره أصل للإنسان. وعلى أن فلاسفة القرن الماضي يرون تشابه الحيوان بالإنسان من حيث الشعور لا العقلانية إلا أن داروين جاء ليعلن بأنه "لا يوجد اختلاف جذري بين الإنسان والثديات العليا في قدراتها العقلية". فالحيوان قادرٌ على التفكير والتذكر والتعاطف والتخيل واتخاذ القرارات، ما أعطى دفعة لحركات حقوق الحيوان للمضي في مطالباتها بشيءٍ من العزم والتبرير.

الحيوان في الفلسفة النسوية

@abuahmedalqarni

25 رمضان 1438

كان شعور المرأة بالاضطهاد سببًا رئيسًا في تعاطفها ودخولها في مسار الدفاع عن اضطهاد الحيوان واستغلاله بحثيًا في المخابر الطبية. فبعد نظرية داروين الثورية، كانت الناشطة الآيرلندية فرنسس باور كوبي (1822–1904) أولى من دعا لحماية الحيوان من التجارب البشعة في الأبحاث العلمية، وأسست أول منظمة معارضة في هذا الاتجاه. كان ممن تأثر بأفكار كوبي، النسوية آنا كينزفورد (1846–1888) أول طالبة إنجليزية تتخرج في تخصص الطب، وأول طالبة تنال شهادتها دونما إجراء أي تجارب على الحيوان. إذ كانت تطالب بعدم إيذائه وكانت من أوائل من دعا إلى النباتية في كتابها "الطريقة الفضلى للحمية، 1881".

في عام 1902م، سافرت النسوية السويدية ليزي لند هاجيبي (1878–1963) رفقة صديقتها ليزا شارتاو إلى انجلترا لدراسة الطب لتقفا على مشاهد مؤلمة للتجارب على الحيوانات. كان من أبشعها عمليات دموية أُجريت على كلبٍ وهو في حالة من الوعي التام، لتؤلفا "كوارث العلم: مقتطفات من مذكرات طالبتيّ طب" عام 1903م. أحدث الكتاب جدلاً في إنجلترا ودفع معارضي التشريح لرفع قضية على الباحث ويليام بيلس (1860–1924) لتمثيله بالكلب، وشيدوا تمثالاً للكلب في حديقة باترسي عام 1906م وهو يحمل يافطة "يا رجال ونساء إنجلترا، متى ستستمر هذه الانتهاكات؟" كأول تمثال لكلب قضى بسبب سوء معاملة!

تواصلت الجهود النسوية في الدفاع عن حقوق الحيوان، وكان أغلب المشاركين في مظاهرة للتنديد بممارسات العنف ضد الحيوان في واشنطن عام 1990م من النساء دون الرجال. كان لهذه الأنشطة النسوية دورها في إشاعة نُسخ متشددة من النباتية، لم تتوقف على عدم أكل الحيوان بل عن الامتناع المطلق عن جميع ما يمت للحيوان بصلة من ملابس وأحذية جلدية. يعود السبب في اهتمام المرأة بحقوق الحيوان في كونها – بحسب الفيلسوفة لوري غروين (1962–) – تشعر بأنها مستخدمة ومستغلة كالحيوان، حتى أن الفيلسوف الإنجليزي توماس تيلر (1758–1835) سخر من كتاب ماري وولستونكرافت (1759–1797) المعنون بـ "إقرار بحقوق المرأة" قائلاً بأن الحجج الواردة فيه تناسب الحيوان والمرأة على السواء، في إشارة جديدة أن الدفاع عن حقوق الحيوان قد ينتهي أخيرًا للدفاع عن حقوق المرأة، وهي ميزة إضافية لهذه الحركة المستقبلية.



حقوق الحيوان: مقاربة نفعية

@abuahmedalqarni
26 رمضان 1438

تكاملت الظروف لقضية "حقوق الحيوان" فأصبحت موضوعة مثيرة تُدرس عبر الخارطة الفلسفية الأخلاقية، ومن أشهر المقاربات الفلسفية لحقوق الحيوان مقاربتان: (1) نفعية و(2) حقوقية. يمثل المقاربة النفعية الفيلسوف الأسترالي بيتر سينغر (1946–) ويمثل المقاربة الحقوقية الفيلسوف الأمريكي توم ريغان (1938–2017) ومواطنه المحامي غاري فرانسيون (1954–). والمقاربتان تنسدلان من نظريتين أخلاقيتين: (1) "نظرية العواقبية" التي ترى بأن صحة وسوء العمل يعتمد على عواقبه، فالتدخين سيء لأن عواقبه سرطانية، والمقاربة النفعية عواقبية، و(2) "نظرية اللاعواقبية" التي ترى بأن صحة وسوء العمل يعتمد على قواعد ثابتة لا علاقة لها بالعاقبة، فالعمل السيء لا ينبغي فعله وإن كانت عواقبه أسوأ، فقتل الحيوان يظل عملاً سيئًا وإن كانت العاقبة جوع الإنسان، فالمسألة قاعدة تقول القتل سيء، والمقاربة الحقوقية غير عواقبية.

النفعية التي يسلكها بيتر سينغر في نظرته لحقوق الحيوان ترى بأن أفضل الأعمال الأخلاقية هي التي عاقبتها المنفعة والراحة والسعادة للآخرين، وهي نظرة الفيلسوف الإنجليزي جيرمي بنثام (1747–1832). يهتم سينغر بمصالح الحيوان، ويرى بأنه ليس ثمة ما يمنع اعطاء اهتمامٍ متساوٍ لمصالح الانسان وغير الإنسان على السواء، فما المبرر الذي يمنع عدم ركل الإنسان والفأر بنفس الطريقة، طالما ومصلحتهما ألا يتعرضان للضرر؟! على ذلك، يرى سينغر بأنه طالما أن الحيوان يتضرر وله مصلحة فيجب احترام حقوقه ومصالحه كليًّا كالإنسان دون تجاوزٍ عليه. واحتجاجًا على أن الحيوان لا يملك لغة ليعبر فيها عن منافعه ومصالحه، يحتج سينغر بأنه لو كانت المصالح تتطلب لغةً تواصليةً لاستحال معرفة مصالح أناس عجزة وقاصرين لا يُجيدون الشكاية والتعبير.

على هذه الأسس، يُعد سينغر أول من فلسف ممارسة الجنس بين الإنسان والحيوان وأجازها أخلاقيا إذ ينالان سويا من الجنس منفعة وسعادة، فالعمل الأخلاقي رهن المنفعة بلا ضرر. لذلك، كان من أشد المدافعين عن الفيلسوفة آنا ستبلفيلد بعد اتهامها عام 2017م بأنها اغتصبت رجلاً من ذوي الاحتياجات الخاصة، فدافع عنها بحجة أن الجنس غير مضر أخلاقيًّا إن تم بالتراضي، بل هو منفعة لذوي الاحتياجات الخاصة وللحيوان، ولا يُمكن عدّه اغتصابًا!



حقوق الحيوان: مقاربة حقوقية

@abuahmedalqarni

27 رمضان 1438

المقاربة الثانية هي المقاربة الحقوقية وقد اختطها الفيلسوف الأمريكي توم ريغان (1938–2017) مُسميًّا الحيوان في كتابه "قضية حقوق الحيوان، 1983" بـ "رعايا الحياة" وهو ما يخولهم لأن يكونوا حاملين للحقوق بناءً على تمتعهم ببعض القدرات العقلية التي يتمتع بها الإنسان. وضع ريغان الحيوان في مرتبةٍ أخلاقيةٍ موازيةٍ للإنسان، ولأن ثمة من الحيوانات مثل الأطفال والقاصرين وذوي الاحتياجات الخاصة فقد وضعهم جميعًا في باقة واحدة أسماها "المرضى الأخلاقيين" وأوجب على العقلاء من أسماهم "المسؤولين الأخلاقيين" أن يعوا مسؤولياتهم تجاههم وينظموا علاقاتهم معهم.

رغم أن بيتر سينغر في طريقته النفعية السابق ذكرها يرى في الحيوان وسيلة لتحقيق غايات ومصالح الإنسان، إلا أنَّ ريغان يعترض بأن الحيوان ينبغي أن يُعامل تماما كالإنسان. يستعين ريغان بقاعدة إيمانيول كانت الأخلاقية التي يطبقها "كانت" على الإنسان فقط دون الحيوان قائلاً بأن الحيوان كالإنسان لا ينبغي أن يُضحَّى به كوسيلة لتحقيق غاية، فالحيوان ينبغي أن يُعامل كغاية في ذاته. هذا الموقف الصارم من ريغان وضعه في مخيّم المطالبين بتحرير الحيوان كليًا من القبضة الإنسانية، بجوار مواطنه المحامي غاري فرانسيون (1954–) الذي طالما ينظّر بأنَّ الحيوان لا يريد من الحقوق إلا حقًا واحدًا، وهو حق الحرية في ألا يكون مملوكًا لأحد. يرى فرانسيون بأن جميع الأنظمة القانونية المدافعة عن حقوق الحيوان ليست ذات جدوى إذ هي مركّزة على آلام الحيوان أكثر من حريته، ودائما ما ينتصر الإنسان في كسب قضايا ضد الحيوان إذا ما خفَّ الألم على الحيوان، ولا حل إلا بتحرير الحيوان من الإنسان بالطريقة التي حُرّر بها العبيد.

يُعد موقف تحرير الحيوان من ملك الإنسان من أشد المواقف مناصرةً للحيوان، إذ أنه يعتمد في سردياته مصطلح "حقوق الحيوان" ويرفض رفضا قاطعا مصطلح "الرفق بالحيوان" (animal welfare) لكون الأخير يطالب بتخفيف آلام الحيوان فقط دون فك سراحه وعتقه من الاستعباد. لذلك، يُهاجم غاري فرانسيون دعاة الرفق بالحيوان ويصمُهم بحُماة الحيوان، لأنهم لم يصلوا فعليا إلى فهم حقوق الحيوان الأصلية، بل ضجر منهم عام 1996م، فأعلن عدم وجود حركات حقوق حيوان صحيحة في الولايات المتحدة إطلاقا.



حقوق الحيوان: مقاربة لاحقوقية

@abuahmedalqarni
28 رمضان 1438

يمكن القول بأن آخر ما توصل إليه النشطاء في مسألة "حقوق الحيوان" هي التفكير في تطوير الحيوان وزيادة كفاءته العقلية والفسيولوجية، في مرحلة ما يسمى بعمليات التحول الإنساني (transhumanism). والتحول الإنساني هي فلسفة فكرية مستقبلية ذات قوانين ومبادئ تهدف إلى تحويل وتغيير ظروف الإنسان (من ولادة ونمو وأحاسيس وطموحات وصراعات) من خلال تطوير تقنيات شديدة التعقيد ومتاحة للجميع تُسهم في تحسين عقليته ووظائفه الفسيولوجية ورفع طاقاته إلى أقصى حد ممكن، بحيث يتحول البشر إلى كائنات أخرى مطورة ومُحسنة تسمى "الكائنات ما بعد الإنسان".

فرغم معارضات الطبيعيين للتطور التقني المتصاعد، إلا أن هذه الحركة تسعى لأن ترقيّ الحيوان تقنيًّا وتخرجه من جسده الضيق، بحيث تزداد كفاءاته العقلية بما يتجاوز الإنسان بمراحل، كما تسعى لأن تحسن من مركباته الفسيولوجية بما ينافس الإنسان في العمر والصحة. يمكن أن تتم هذه العمليات من خلال الترقية البيولوجية (biological uplift) بحيث يتم هندسة جينات الحيوانات والتلاعب بها بما يضمن تحولها إلى كائنات ذكية جدًا بمعاونة كائنات ذكية بالطبيعة كالإنسان. هذه الترقية ستساهم وتسرع من نجاحات حركات حقوق الحيوان على التوالي إذ سيدخل الحيوان كطرف في تحديد حقوقه وواجباته، وسيساهم في رد الاعتبار له ولذوي الاحتياجات الخاصة من البشر. يتخوف بعض الكتاب من هذه التقنية، كالكاتب وودي إيفان (1977–)، منظرًا بأن هذه الترقية سيتساوى فيها الجميع بحيث يصبحون جميعا، الحيوان والإنسان، المستنسخ منها والمولود، كائنات فريدة من نوعها، وبالتالي تستحق الاحترام، والكرامة، والحقوق، والجنسية على السواء.

هذه المحاولات إن تمت بالشكل الصحيح ستقضي على ما يُسمى العنصر البشري والتمييز بينه وبين الحيوان، بحيث يتشكل الكون من كائنات متطورة "ما بعد إنسانية" تشترك في تحديد المصالح وتعيين الحقوق. تُعد هذه النظرة من أشد النظرات الفلسفية تطرفًا لحقوق الحيوان، إذ هي نظرة مستقبلية تجاوز حدوده وترفعه لمستويات عُليا قد يتغير بها وجه العالم كُليًّا، بحيث يصل العالم كله إلى درجة كبرى من الذكاء لا يحتاج معها لأن يطالب بحقوق أصلا.

نظرة تطبيقية

حقوق الحيوان: الإعمار

@abuahmedalqarni

29 رمضان 1438

بعد إجمال القول عن "حقوق الحيوان" بين التأسيس النظري والتاريخ الثقافي والوعظ الديني والجدل الفلسفي، يكون الوقت قد حان للانتقال من مرحلة التنظير والتعليق إلى مرحلة التنفيذ والتطبيق، بالإشارة إلى الواجبات والمسؤوليات التي ينبغي أن يتحلّى بها المدافع عن حقوق الحيوان في حال رغب الاشتراك في هذا التيار.

أولى هذه الواجبات العمل التطوعي بنشر التوعية بين الناس عن مسألة "حقوق الحيوان"، من خلال عرض مأساتها والتشهير بالمنتهكين لها والإشادة بالمحافظين عليها وذلك عبر المنافذ المتاحة المجانية كوسائل التواصل الاجتماعي أو بالوعظ المباشر للأفراد أو بعقد الندوات والمؤتمرات الخاصة، كلٌّ بحسب قدرته واستطاعته، وحجمه ونفوذه. فالوعي بالأزمة هي بداية العمل على حلها واتخاذ التدابير اللازمة لمعالجتها والحد منها. تتكامل "توعية" الجيل الحالي بالعمل على "تربية" الجيل التالي، وتنشئته وفق منظومة قيمية حضارية تطول الحيوان قبل الإنسان، وذلك من خلال مشاركة الأحفاد الأزمة والمأساة وغرسها في وجدانهم منذ الصغر، بحثّهم على الإحسان للحيوانات تارة وثنيهم عن ملاحقتها ورجمها والإساءة إليها تارةً أخرى. فضمانة مسيرة حقوق الحيوان في المستقبل لا تكون إلا بالتوعية المكثفة للجيل القائم والتربية المشجعة للجيل القادم.

يأتي بعد مرحلة نشر التوعية والتربية بين الجيلين، مرحلة التطبيق الحاسمة لإيقاف الانتهاكات الواقعة على الحيوان. ففي حالة عدم جدوى النصيحة، يكون التدخل لإيقاف العنف من أولى واجبات الإنسان وذلك من خلال التوثيقات الجنائية للجريمة والإبلاغات للجهات الرسمية التي يمكن أن تتدخل للحد من إساءة معاملة الحيوان بأي دولة، لاسيما وقد أقرت دول العالم فرض عقوبات قاسية على المسيئين للحيوان. فقد وفّرت وزارة البيئة والمياة والزراعة في السعودية، مثلا، قسما خاصا بالرفق بالحيوان برقم (8002470000) تتلقى عبره البلاغات في حال ملاحظة سوء عناية بالحيوانات في الأسواق أو تعذيب إنسان لحيوان ظلمًا وعدوانًا، ما يجعل الأمر لا يتطلب من المراقب سوى عزم النية والمسارعة في التبليغ مُحتسبا أجر عمله الصالح عند اللّه، و"إن الذين آمنوا وعملوا (الصالحات) إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا". (الكهف، 30).

حقوق الحيوان: الإزدهار

@abuahmedalqarni

30 رمضان 1438

يكمن القول بأن نجاح أي حملة لحقوق الحيوان يمكن أن يتحقق بشرط أن تكون (1) أخلاقية لا جمالية، (2) كونية\بيئية لا حيوانية، (3) واقعية لا مثالية. فالعناية بالحيوان ليست عناية جمالية فاترة، إنما عناية أخلاقية مُلحة، ويجب أن ترتسم هذه العناية الأخلاقية لا الجمالية في الواقع والممارسة. فلا يجدر بالمدافع عن حقوق الحيوان أن تكون دعوته للعناية بالحيوان لشكله الظاهري الجمالي، بل لكون الحيوان كائنٌ هامٌ له دوره ووظيفته الطبيعية القيّمة. وهذه الدعوة هي التي تقضي على التمييز بين الكائنات (حيث يتلقى الحيوان الأجمل عنايةً أكثر من الحيوان الأبشع)، وهي التي توقف المكاسب الربحية من الاتجار بالحيوانات ذات السلالات الرفيعة وتستبدلها بالتبني للكائنات الضالة الأسوء حظا.

هذه العناية بالحيوان من منطلق أخلاقي هو ما يُكسبها طابعية كونية، فتصبح معنية بالاهتمام بمكونات الكون جميعًا، وبالتالي تبرز أهمية العناية بحقوق الكون\البيئة كونها نتيجة حتمية عن العناية بحقوق الحيوان. باختصار، العناية بالحيوان يعني الاهتمام بكل ما يتسبب في وجوده الكوني، أعني العناية بمأكله ومشربه من نبتٍ وماء، والعناية بمأواه وحياته من صخرٍ وهواء. ويمكن حفظ حقوق البيئة بالتوعية بأهم الأنظمة الصديقة لها: (1) نظام التدوير (Recycling) و(2) نظام التسميد (Composting). فالتدوير يساعد على حماية البيئة بتقليل الحاجة لاستخراج المعادن وقطع الأشجار، ويغني عن استنفاد المواد الخام والتي تتسبب غالبًا في تلوث الماء والهواء، كما يُسهم في توفير الطاقة وبالتالي تقليل انبعاثات الغازات، فيتصدى إلى التغيرات الخطيرة للمناخ. كما يساهم التسميد (أي الاحتفاظ بقشر الطعام وبقايا الخضروات والفواكه وقشورها بدلاً من رميها بالنفايات) في إثراء التربة والقضاء على الآفات البيئية المحدقة بالنباتات، ويقلل الأسمدة الكيماوية الضارة، ويحد من انبعاثات غاز الميثان بمدافن النفايات وانبعاثات الكربون، وهذا ما يحفظ حق الإنسان والحيوان.

أخيرًا وليس آخرًا، يجب أن تكون حملات حقوق الحيوان واقعية بحيث تتحرر مما يحد من انتشارها أيا يكن ذلك الحد، فتكون فعلاً لا قولا، ممارسةً لا مناظرة، واجبًا لا مستحبا، غايةً لا وسيلة. فليس أخطر على حملات حقوق الحيوان من أن تبقى عند الناس خيالا ومثالا طوباويًا ليس لها في وجدانهم وقعٌ ولا واقع!

يُعدُّ سؤال "حقوق الحيوان" من الأسئلة الطارئة على الخارطة الفلسفية الأخلاقية، ولا تزال الأجوبة على هذا السؤال قيد الإنجاز والازدهار. فرغم طرافة الموضوع، إلا أنه لم يُحدث جدلاً واسعًا في الأوساط، بل لاقى الاهتمام والتشجيع من الناس إذ هو يمس العواطف الرحيمة في الرتبة الأولى ويمس جانبًا وافرًا من العقل في الرتبة الثانية. يعود سبب التماهي أو التغاضي البشري مع حقوق الحيوان في أنها لم تتقاطع بعد بما يكفي مع مسائل أكثر جدية وتأزّمية، كمسألة حقوق الإنسان. فكثيرًا ما يحتدم الجدل متى ما تُعقد المقارنات بين أولوية حقوق الحيوان إزاء حقوق الإنسان. هذه المقارنات هي ما يُشعل الخِلاف فيتجلّى في أعتى صوره، وربما يستعر أكثر مع مطالبات حقوق الحيوان الأكثر جرأة وتقدميّة كمطالبات تحرير الحيوان كُليًا من قبضة الإنسان ومنع ذبحه وأكله، وهي مُناشداتٌ فتيَّةٌ لا تزال تلقى رفضًا جارفًا من البشر رغم ما تحرزه من تقدمات في مناطق مزدهرة من العالم.

هذا الكتيّب أو سمِّه البروشور أو الرسالة أو المجلة أو إن شِئتَ "مجموعة المقالات" تُعد من أولى المحاولات الناظرة في مسألة "حقوق الحيوان" من عدة نواح. فرغم تكدس الكتب عن أحكام الحيوان والرفق بالحيوان في الإسلام، إلا أن متونها لم تطرح مسألة "حقوق الحيوان" وتقدّمه كسؤال جديد في الفكر العربي، أعني كسؤال إبستيمي مؤرق يتطلب إجابةً منهجيةً تُسهم في إحداث تحولات جادة في الفعل والسلوك. فغالب الطروحات الدعوية في السياق العربي تصب اهتمامها على تقدير الحيوان من جانب أيديولوجي بحت غير معنية بالأسس الفلسفية والتنظيرية الداعية إلى ذلك فيما عدا تقديمها للنصوص والإخباريات كاستدلال. كما أن مرتكز الطروحات الفكرية بالأساس منصبٌ على حقوق الإنسان، ذلك الكائن المغلوب على أمره، المنشغل بنفسه، الذي لا يزال ينازع السلطات العربية لنيل حقه ومستحقه، ولمّا يجد الوقت مُهيّئًا - بحسب هذه الضغوط والآلام - لأن يقرأ أو يناقش أو يستمع لحقوق كائن جديد (=الحيوان) يهدف إلى فرض مزيدًا من الغرامات والعقوبات عليه.